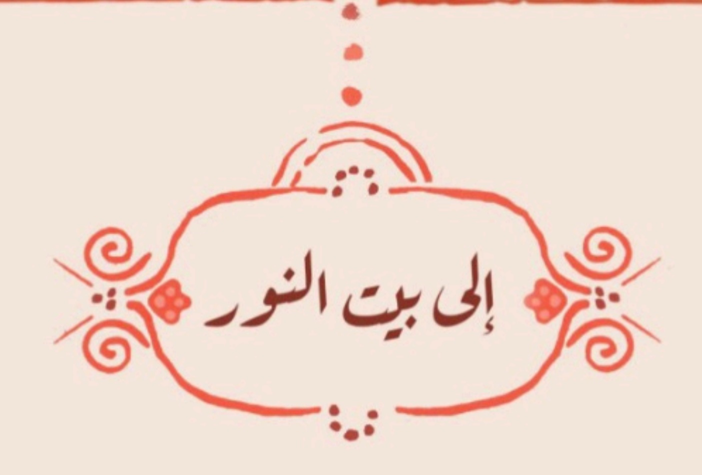
قمري الغريب

قصة حياة الإمام الرضا عليه السلام





إلى بيت النور
ImamRedaAS
قالت نجمة: لقد أعياني المرض، وسلبت الحمى كل القدرة من جسدي، ولم أعد أسمع حتى صوت أنفاسي، وكانت ضربات قلبي خافتة، ويداي الصفراوتان كانتا شبه مشلولتين . كان سيدي قلقًا خائفًا عليّ، ويعاملني...
الغريب
قمري
١

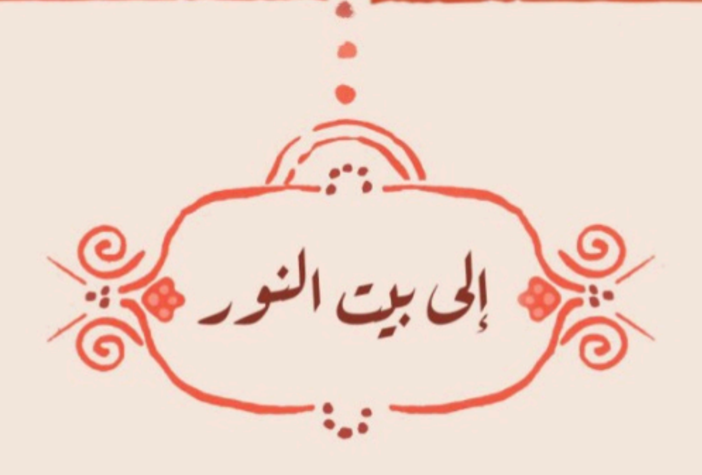


ويعاملني بغاية الاحترام، ولا يبخل علي بأي شيء. والجاريات من حولي ينظرن إلي بحزن وقلق. وأنا أنظر إلى السماء من النافذة.

كأن السماء تقول: سيأتي رجل ويمسح يده على خدي، وسيمحو كل تعبي وهمي. رجل سيحضر نجوم السماء من أجلي، وسيضع لي منها قلادة رائعة. لقد كنت منشغلة بذكر الله، والذي اسمه سبحانه يشبه نبع الماء الصافي، يروي شفاهي العطشى والمحترقة شوقًا إلى لقياه.

قرع الباب، جرى العبد مناديًا سيدي: شخصان غريبان قد جاءا إلى زيارتك. أحدهما طويل القامة أنيق المظهر، والآخر يدعى هشام بن الأحمر من أشراف المدينة. ارتعش قلبي وكأنه عين الماء قد جفت، وتوقف تدفق الماء فيها.

سأل سيدي: ما اسمه؟ ذلك الرجل الأنيق ...



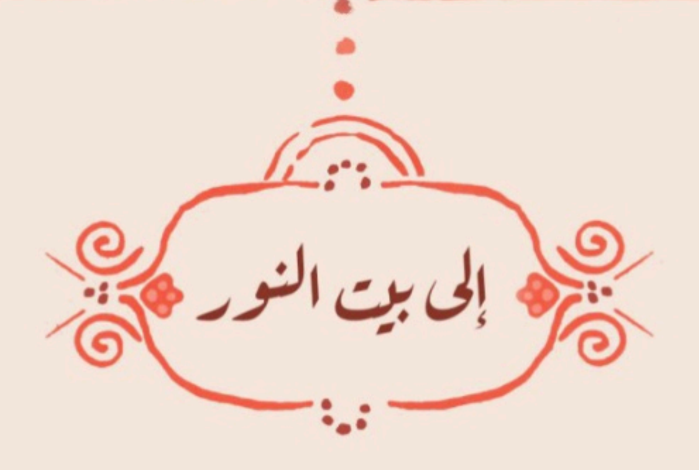
أجاب العبد على الفور: لا أدري، هو من وجهاء المدينة، وقد أتى لشراء إحدى الجاريات. أسرعت الجاريات التسع نحو النافذة لرؤية الضيف الغريب. عاد السيد وطلب منهن: فلتأت أحدكن. صرخن كلهن: أنا سأذهب أولًا. تهجم وجه السيد واحمرت عيناه: أي كن الأقل سنًا ؟ خرجت الجاريات واحدة تلو الأخرى وسرعان ما عدن كلهن.

....

في تلك اللحظات، بدأت تخرج حرائق الحمى من جسدي المهنك.

كانت الدموع المنهمرة من عيون الجاريات التسع العائدات تشرح حالة الحزن الذي يهيمن على صدورهن. جلسن قرفصاء حولي، ولم تكن حالي أفضل من حالهن، فقد كانت الحيرة هي ما تشغل بالي، ساد صمت مطبق أرجاء الدار.

سمعت سيدي يقول بصوت جهوري: ليس لدي جاريات غير ما رأيت ...



أجابه الرجل الغريب: بلى، لديك جارية أخرى، أعرضها علينا.

توجهت أنظار الجميع إلي بعيون ملؤها التعجب! اتجهت عيناي فجأة نحو السماء التي كانت صافية الزرقة.

أجابه سيدي وقد بدأ صبره ينفذ: أقسم لك بالله، لا توجد أي جارية أخرى إلا جارية مريضة.

فقال: ما عليك، اعرضها علينا.

-لن أعرضها ، فهي مريضة ولا تقوى على الحركة، دعك منها.

ولم أسمع في ذلك الحين سوى صرير الباب، فدخل السيد والعبد معه. أغلق العبد الباب خلفه. جلس السيد أمامي وبشكل غير مألوف نظر إلي باحترام وتقدير، وكانت كلماته رقيقة أكثر من أي وقت مضى، وقال: لا تقلقي، ستتحسن حالك ...



في اليوم التالي جاء العبد مرتبك الحال وقال: سيدي! سيدي! لقد أتى هشام، دون أن يصاحبه الرجل الآخر هذه المرة. تجمعت الجواري مرة أخرى خلف النافذة، واعتلين أكتاف بعضهن ليتمكن من الرؤية. لم يكن هناك أي خبر حول الرجل الغريب، لماذا؟ ولكنني بسبب الإرهاق لم أكن أقوى على الوقوف.

• • • • • • • • •

في هذه المرة كاد قلبي أن يخرج من صدري. ماذا سيحدث وأنا لا أدري؟

أمرني السيد بصوت مرتفع أن أحضر إلى الخارج. ارتديت ملابسي وخرجت.

كان هشام ممطيًا حصانه. قال السيد: أبيعها بأعلى سعر، وأغلى ثمنًا من كل رقيق.

أجاب هشام بسعادة بلا أي تردد: ما الثمن؟ قل. لقد اشتريت؛ تمت الصفقة.

وقد آلمني صوت بكاء الجاريات من خلف النافذة...



تقدم سيدي إلى الأمام وقال لهشام: هي لك، ولكن من الرجل الوقور الذي كان معك بالأمس؟

أجاب هشام مبتسمًا: رجل من بني هاشم.

سأل السيد متعجبًا: من أي بني هاشم؟

- من نقبائهم ...

- أريد أكثر. صمت هشام برهة ثم أجاب: لا أعلم أكثر من ذلك.

ضحك السيد ثم عقّب قائلًا: أما أنا فأعلم، وأخبر سيدك أن تلك الجارية لديه قصة غريبة. إنني اشتريتها من أقصى بلاد الغرب. في ذلك اليوم وأثناء مسير القافلة، لقيتني امرأة من أهل الكتاب وعندما وقع نظرها على تلك الجارية سألت: من هذه الوصيفة معك؟





قلت لها: اشتريتها لنفسي...

فقالت: ما ينبغي أن تكون مثل هذه الوصيفة عند أمثالك، إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلا قليلًا حتى تلد منه غلامًا يدين له شرق الأرض وغربها.

••••••••

وها أنا الآن راض بتلك الصفقة.

تبسم السيد في وجهي وقد هم هشام بالمغادرة. وكنت أسيرة ذلك الصوت الذي يرافقني دومًا، صوت ملائكة تحلق من حولي، وتنشد الذكر عند أذني: (الله ... الله ...)

(انتهاء القسم الأول)




الوحي الإلهي
ImamRedaAS
إن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام
والذي كان أكرم أهل الأرض طول
فترة حياته، لم يقدّم إلى نجمة
سوى زهرة الحب، ولم يقل لها
كلمة أرق منها ...
(تصفح)
قمري الغريب
١



ولم يقل لها كلمة أرق منها، وقد أخبرها يومًا ما:

والله ما اشتريتك من ذلك الرجل إلا بأمر الله ووحيه.

-وكيف كان ذلك؟

....

- بينما أنا نائم، إذ أتاني جدي وأبي، ومعهما شقة حرير، فنشراها، فإذا قميص عليه صورتك. فقال: يا موسى! ليكونن من هذه الجارية خير أهل الأرض.

كانت البهجة والسعادة تغمرني. ثم أمرني إذا ولدته أن أسميه عليًا، وقالا: إن الله تعالى يظهر به العدل والرأفة، طوبى لمن صدقه، وويل لمن عاداه وجحده وعانده.

(انتهاء القسم الثاني)

قمري الغريب ٢



تكتم
ImamRedaAS
كانت حميدة سيدة شديدة الرقة، تشع نورًا كنجمة في السماء، وقلبها صاف كجوهرة
شفافة، خال من البغض والكره، لا تتوقف أبدًا عن الدعاء والابتهال ...
(تصفح)
قمري الغريب
١



لا تتوقف أبدًا عن الدعاء والابتهال.

كلماتها تنضح عاطفة وحبًا. وقلبها مليء بالدعاء، وكانت تطيل صلاتها حتى تفتح أبواب السماء مستجيبة لدعائها. وكانت نجمة تغبطها، وتشعر أن السيدة حميدة أكثر تعلقًا بحبال الرحمن منها.

السيدة حميدة هي الأم الرؤوفة والرؤومة للإمام موسى عليه السلام، وكانت تكرر على مسامع السيدة نجمة: يا بنيتي! في تلك الليلة التي أتيت إلى المنزل، زارني الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في المنام، وكان كعادته متبسمًا، وحوّل وجهه الشريف هالة من النور الرحماني، وقد أنصتّ بكل حواسي لكلماته، وكأنه يريد أن يخبرني شيئًا مهمًا.

فقد قال لي:

-يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى.





تلك الكلمات جعلتني أرتجف من الخشية، وتملّكني إحساس غريب، وكان أثر تلك الكلمات يمشي في عروق دمي. تابع الرسول صلى الله عليه وآله بنفس الطريقة الرقيقة الرحمانية قائلًا: فإنه سيولد له منها خير أهل الأرض.

وكنت أستيقظ من نومي خائفة مرتعدة، وكأنني مريضة، اجتاحت حرارة الحمى بدني.

....

أنت يا بنيتي من كان يخبرني عنها الرسول الكريم.

وكانت تقبّل السيدة نجمة وتحتضنها بلطف الأم الحنونة.

وأنا امتثلت أمر النبي صلى الله عليه وآله الذي هو أمر الله سبحانه، والشهادة لله أنك إنسانة طاهرة عفيفة ومختاره من جانبه، وأضافت قائلة: أخبرت ولدي موسى عليه السلام بأني لم أرَ في حياتي جارية تعادل تكتم في الأخلاق والعفة والكياسة،



وسيكون نسلها طاهرًا وشريفًا حتمًا، وهي خلقت لك، وأنا أوصيك. فقالت نجمة:
وكم أكرمني وأعزني عملًا بوصيتك ...
فقالت الأم: لتحيي سعيدة مكرمة يا بنيتي.

يمكنك تنزيل ومتابعة قصة «قمري الغريب» عبر قناة تلجرام
العتبة الرضوية المقدسة

 ImamRedaAS



(انتهاء القسم الثالث)


ولادة الشمس
ImamRedaAS
كان الألم شيئًا فشيئًا يداهم جسد
نجمة، ومع هذا فإن ذلك اليوم كان
يومًا جميلًا. فقد كان النسيم العليل
يمر عبر نافذة الغرفة، وكانت الطيور
تنشر الوئام والحب وهي ترفرف
بأجنحتها الجميلة، والقمر قد اكتمل
وأصبح واضحًا أكثر من الليالي
السابقة. وعلى رغم حملها ... (تصفح)
قمري الغريب
١



وعلى رغم حملها إلا أن نجمة لم تشعر أبدًا بصعوبة أو انزعاج، فقد كانت تسبيحات الملائكة تخفف صعوبة الحمل، وتساعدها على تحمل مشاقه.

وعند النوم في مساء كل يوم، كانت تسمع أصوات التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل الآتية من بطنها. وكانت تستيقظ مرتعدة من شدة الخوف، وتشعر بالارتباك والدهشة، وكان ذلك الصوت الدافئ رفيقًا لها طول فترة حملها.

الإمام موسى عليه السلام يجلس في غرفة أخرى، وكان صوت قراءته لآيات الذكر الحكيم تنشر الأمان والطمأنينة في أرجاء المنزل، وكانت نجمة هادئة لا تتكلم، وماذا تقول وكل تلك الأصوات الرحمانية تعبق بكل مكان؟!

تفتحت عيون الرضيع قليلًا، وكأنه نور بزوغ الشمس قد أشرق على الدنيا ليعلن ولادة فجر جديد، وكانت تلك الأنوار تنتشر في أرجاء الغرفة التي كانت مشرقة



أكثر من ذي قبل، وكانت السعادة غامرة تملأ وجه نجمة. سقط الرضيع على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء: يحرك شفتيه كأنه يتكلم إلا أن نجمة لم تكن تسمع شيئًا، وكانت تعبة ومنهكة.

دخل الوالد الإمام الكاظم عليه السلام داخل الغرفة، وألقى التحية والسلام وبارك لها.

....

شكر الله حقّ شكره، وقال: هنيئًا لك يا نجمة، كرامة من ربك.

جلس الوالد وحمل الرضيع الذي كان عبق الجنة وعطرها يفوح منه، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

كان الخدم منهمكين في العمل، وكان دعاء الوالدة حميدة يقترن برائحة أعواد البخور المحترقة، وكان عبقهما يملأ المكان.



أرسل الوالد الخدم لجلب الماء، وأخذ الوالد جرعة منه ووضعها على شفتي الرضيع وحنكه، ثم وضع الطفل في حضن والدته، وقال بسعادة شديدة: خذيه، فإنه بقية الله في أرضه.

كانت تملأ رأس نجمة أصوات الملائكة وهي تنشد الذكر: الله ... الله ...

(انتهاء القسم الرابع)

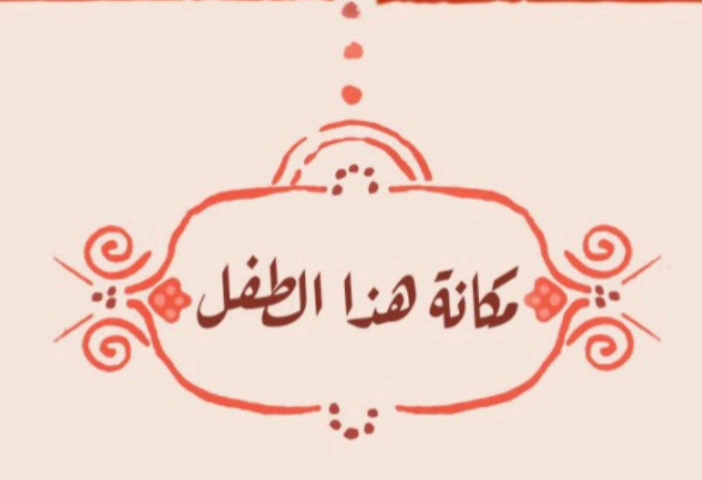


وضع قطعة صغيرة على أذني الحصان الصغيرتين لتردّ عنه لهيب الشمس، فصهل الحصان ليعبّر عن شكره له.

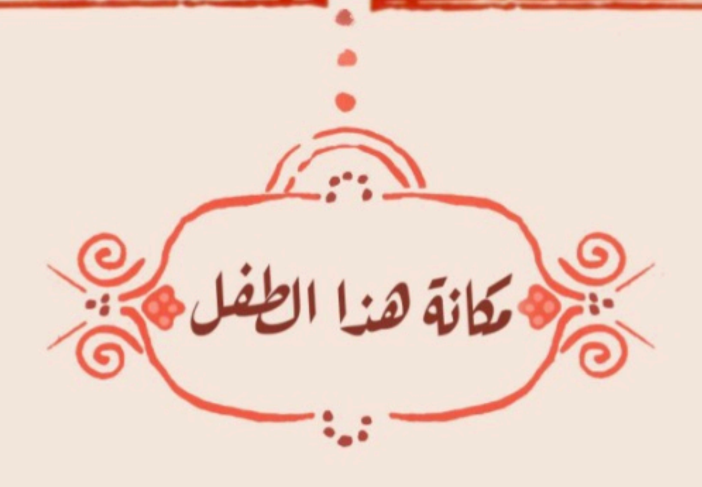
أعطى المفضّل لجام حصانه للغلام الشاب وسأله: هل مولاك في المنزل يا رجل؟

أجابه الغلام وهو مسرور: نعم، و أفضل من أي يوم ...

(تصفح)



أجابه الغلام وهو مسرور: نعم، و أفضل من أي يوم، أدام الله ظله الشريف علينا. بعد أن اجتاز المفضّل الممر نادى بصوت مرتفع: أين حبيب قلبي؟ اتجه الإمام الكاظم عليه السلام لاستقباله، وكان لقاؤهما مفعمًا بالمحبة والشوق وكان الرضا عليه السلام في حضن الإمام الكاظم عليه السلام. تناول المفضّل تمرة من التمر الطازج، كان علي بن الإمام الكاظم عليه السلام في حجره وهو يقبله ويضعه على عاتقه ويضمه إليه ويقول: بأبي أنت، ما أطيب ريحك! وأطهر خلقك! و أبين فضلك! تهلل وجه الرضا فرحًا وضم وجهه إلى صدر أبيه عليه السلام. امتلأ قلب المفضل حبًا وحنينًا تجاه الطفل. ثم جلس وظهره مستويًا وقال: جعلت فداك! لقد وقع قلبي لهذا الغلام من المودة ما لم يقع أحد إلا لك. فرح الإمام عليه السلام بذلك ومسح يده على رأس الرضا وقال: يا مفضّل، هو مني بمنزلتي من أبي عليه السلام.



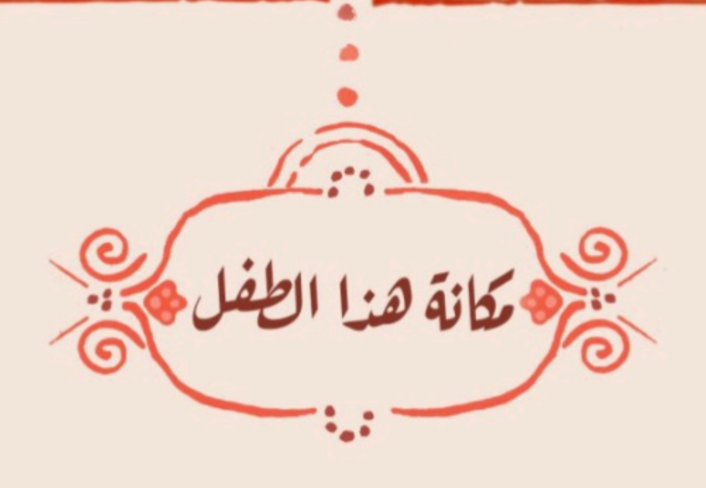
جلس المفضّل القرفصاء، وأحدّ بصره وقال: هل هو صاحب هذا الأمر من بعدك بإذن الله عندما يشتد عوده ويصبح رجلًا؟

قبّل الإمام عليه السلام جبين الرضا عليه السلام عدة قبلات، وفي كل مرة كان يفوح عبق كأنه من عطر الجنة ويملأ كل أرجاء الغرفة.

....

ثم قال: أجل، من أطاعه رشد، ومن عصاه كفر. إن الذي يتبع الرضا عليه السلام على طريق الحق والهداية، والذي يعصيه سيحيد عن طريق الحق، وسيكون دربه درب الضلال والكفر.

مشاعر نجمة المرهفة جعلت دموعها تنهال على وجنتيها الحمراوتين، ومن خلف الستار وبتسليم لله نظرت إلى السماء، وأخذت تدعو للرضا عليه السلام.



مكانة هذا الطفل

تمنى المفضّل لو يستطيع أن يحضن الرضا عليه السلام، ويمسح يده على وجهه الكريم، لكنه لم يفعل ذلك، وفي نظره قد كان الوالد و ابنه عليهما السلام كقطعتين من تفاحة حمراء يفوح منهما عطر الربيع. وهكذا ترعرع الوليد في ظل والده يزكيه بآداب الإمامة، ويعلمه أسرارها، ويطلعه على ودائع النبوة.

(انتهاء القسم الخامس)


أوَلا يعرفنا
ImamRedaAS
قام الرجل، فتح باب المسجد الكبير بمصراعيه، وعيون الرجال محدقة في عتبته.
منذ جاء خادم الجامع وقال لهم بصوت مرتفع: «انتظارنا شارف على نهايته والرجل الذي نحن في طلبه هو قادم إلينا.» كانت قلوب الضيوف تخفق بشدة ...
(تصفح)
قمري الغريب
١



كانت قلوب الضيوف تخفق بشدة معلنة نفاذ صبرهم وشوقها الشديد إلى لقياه.

- السلام عليكم!

رد الرجال جميعًا، وهم مئة رجل.

- وعليكم السلام. كأنهم رجل واحد كان صدا صوته الجميل يتردد في أنحاء المسجد...

- تفضل، اجلس، حللت أهلًا... ووطئت سهلًا.

كان ولده الرضا عليه السلام برفقته ممسكًا بيد والده. ألقى السلام على قبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وجلس.

تقدم ابن عبد الأعلى الهاشمي ليتكلم نيابة عن الستين من علماء الشيعة، لكن الإمام الكاظم عليه السلام قاطعه قائلًا:

أتعلمون من أنا؟ نظر الجميع إلى بعضهم بعضًا بتعجب! وهمس كل منهم إلى صاحبه،



ثم أجابوه: مولاي ما هذا السؤال؟ ألا تعلم من نحن؟ نحن الذين أتينا مرات عديدة لزيارتك! ثم قالوا: أنت سيدنا ومولانا!

ثم قال لهم الإمام الكاظم عليه السلام: «اذكروا لي اسمي ونسبي.»

نظر الجميع إلى بعضهم البعض باستغراب! ثم بدأ كل منهم هذه المرة قائلًا:

....

« أنت موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد ...»

سكت الجميع بعدها، وكان الرضا عليه السلام يقف بجانب والده عليه السلام وكانت نظراته إلى العلماء تنم عن نظرة شاب ناضج حكيم.

وضع الإمام الكاظم عليه السلام يده على كتف الرضا عليه السلام، ونظر إليه وتبسم سائلًا الحشد: «هذا الطفل من يكون؟»



ارتفعت أصوات الجمع مرة أخرى، ما الذي جرى؟ نحن نعرف كل أهل بيت الإمام عليه السلام الطاهرين. وعلت صيحة على كلام المجتمعين قائلة: الرضا هو ولد مولانا الإمام الكاظم عليه السلام.

أمرهم الإمام الكاظم عليه السلام بالسكوت، وقال هذه المرة بنبرة أعلى من قبل: «فلتعلموا وتشهدوا أن الرضا هو ممثلي ونائبي في حياتي، والإمام من بعدي بعد أن يأخذ الله أمانته.»

ارتفعت أصوات الحاضرين بالصلوات، وكان صداها يهز سقف المسجد وجدرانه من شدته. انطلق الجمع بعدها نحو الرضا لمبايعته، وكانت يده الصغيرة المباركة تنتقل بين أيدي الرجال.

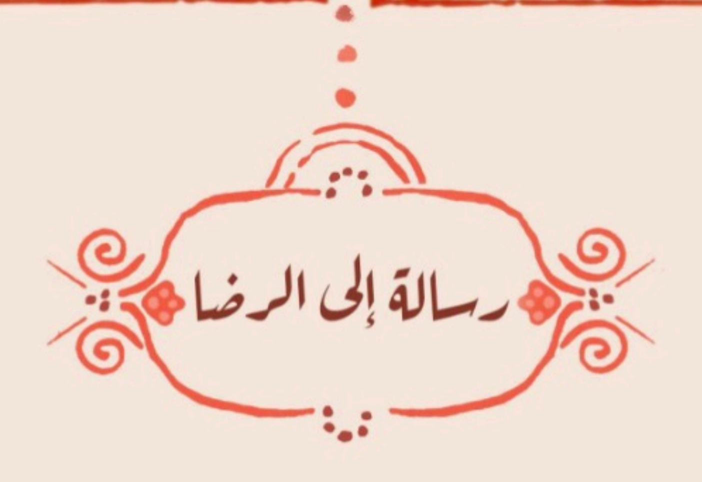
(انتهاء القسم السادس)



ضرب عبد الله على ظهر الحصان الأسود، فهز الحصان أذنيه بنفور، وأخذ عبد الله لجام الحصان محاولًا جره خارج الإصطبل، ولكن الحصان حرن ولزم مكانه، فاشتد عبد الله عليه مجددًا.

- أيها الحيوان! ما الذي يعجبك بهذا الإصطبل؟ اذهب خارجًا وكفاك عنادًا يا أحمق!

(تصفح)



شد عبد الله بيده الحصان بقوة، وربطه بوتد كبير. أراد أن يخطو خطوة في كوخه، فأوقفه شيء غريب لفت انتباهه! وقف ينظر، فشاهد في الجهة البعيدة من الصحراء فارسين مسرعين نحو كوخه. قعد في مرصد يرصدهما، وأخذ يستشرفهما، وعرف أنهما غريبان.

قال في نفسه: لا يشبهان رجال الحاكم، ترى من يكونان؟ حاول أن يدقق النظر مرة أخرى ... إنهما لايشبهان سكان البادية المجاورة لنا.

كان الغبار المتطاير من عدو الحصانين يشكل تلالًا صغيرة من العجاج خلفهما. ذعر عبد الله وجرى داخل الكوخ. قالت له زوجته عند رؤيته:

- لماذا تذهب إلى المدينة؟ ستتأخر إذًا.

صرخ عبد الله على زوجته وأولاده قائلًا: لا تبرحوا أبدًا من أماكنكم!





من الممكن أن يأتي قطاع الطرق نحونا. ابقوا في الكوخ حتى أخبركم...

أين سيفي؟ أين سيفي؟ أخرج سيفه من الصندوق بسرعة، وسله ووقف متهيبًا أمام كوخه. وصل الفارسان! لا يشبهان اللصوص أو قطاع الطرق. أدخل عبد الله سيفه في غمده بهدوء، وبحذر تقدم نحوهما. ترجّل الرجلان بألبستهما البيضاء ليسلما عليه.

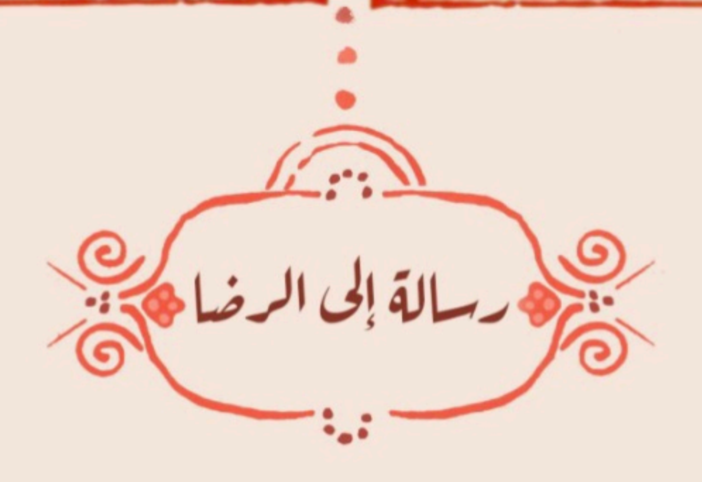
....

وردّ عبد الله السلام عليهما بوجه متجهم.

قال أحد الرجلين: نحن من أصحاب موسى بن جعفر الصادق عليه السلام، وعقّب الآخر قائلًا: وهو خلف تلك التلال الصغيرة على طريق البصرة، وقال:

- ليأت عبد الله بن المرحوم إلي بسرعة!

تبسم عبد الله ورمى سيفه داخل الكوخ، وقال: «ها أنا آت الآن.»



فك رباط الحصان وامتطى ظهره، و انطلق برفقتهما إلى الإمام الكاظم عليه السلام. مشى الإمام عليه السلام لاستقباله، وقبّل عبد الله يده الشريفة. أعطاه الإمام رسالة تحمل ختمه، وقال: «احمل هذه الرسالة إلى المدينة.»

سأله عبد الله: المدينة؟ إلى من أوصلها جعلت فداك؟

واستغرب بينه وبين نفسه ... من أين علم أني سأقصد المدينة؟! فقال الإمام:

- إلى ابني علي، فإنه وصيي والقيّم بأمري وخير بني.

قبّل عبد الله الرسالة، وكانت الحيرة تملأ وجهه، وسأله قائلًا: «كنت عازمًا على السفر إلى المدينة ... سمعًا وطاعة، ولكن من أين علمت سيدي ذلك؟»

تبسم الإمام عليه السلام ابتسامة ذات مغزى، فتوقف عن الكلام!

(انتهاء القسم السابع)


رحيل الوالد
I m a m R e d a A S
كانت أعمال المنزل المهمة ملقاة على عاتق الرضا عليه السلام. وكان الإمام الكاظم قد أخبره: « عليك أن تنام بشكل دائم في المنزل حتى يصلك خبر وفاتي.»
يقول مسافر...
(تصفح)
الغريب
قمري
١



يقول مسافر، وهو من خدام الإمام الكاظم عليه السلام: «كنا نضع فراش الرضا كل ليلة في ممر البيت، وكان يأتي بعد العشاء وينام هناك، وفي مطلع الفجر يغادر المنزل، وبقي هكذا لمدة أربع سنوات. في إحدى الليالي وضعت فراشه كالمعتاد، لكن الإمام تاخر عن المجيء، وقلق كل من في المنزل عليه، وأنا كنت مضطربًا جدًا، ولم أكن أستطيع الجلوس، وكنت أخرج كل لحظة إلى خارج المنزل أترقب وأنتظر عودته أو خبرًا منه، وبقيت هكذا حتى بزوغ الفجر. لم تغمض جفون أي منّا في تلك الليلة. وفي اليوم التالي عاد الإمام الرضا عليه السلام، وقبل أن تخطو قدمه عتبة الدار، نادى أم أحمد من غرفتها وقال لها: سلميني أمانة أبي. تغير لون وجه أم أحمد، وصرخت صرخة عظيمة دون أن تستخبره، وجعلت كل من في المنزل يهرول نحوها، وأخذت تلطم وجهها. نجمة لم تكن موجودة لتنحب على الإمام، وكانت هي بطبيعتها لا تنحب



فقد كانت متماسكة رزينة، وكانت عندما تبكي لا يسمع لها صوت، وقد غادرت الدنيا قبل وفاة الإمام الكاظم عليه السلام، وكان ألم فراقها لا يفارق أبدًا الإمام الرضا عليه السلام.»

صرخت أم أحمد وهي تبكي: يا أهل الدار! بالله هل حقًا توفي مولاي؟

....

قال لها الرضا عليه السلام: اهدئي يا أم أحمد! لا تدعي كلماتك تكشف الأمر، ولا تخبروا أحدًا حتى لا يصل الخبر إلى رجال الحاكم.

هدأت أم أحمد وسلمت حضرة الرضا عليه السلام صندوقًا صغيرًا كان بداخله ألف دينار، ورددت أم أحمد وهي تبكي بصوت خافت على مسامع أهل الدار قائلة: أمّن الإمام الكاظم عليه السلام هذا المبلغ الكثير من المال عندي خفية، وأمرني



وأمرني أن أحفظ تلك الأمانة وألا أخبر بها أحدًا ما إلى أن يفارق الحياة، وقال لي: «فسلمها إلى أي ولد من أولادي يأتي ويطلبها منك.» وعندما طلبها الإمام الرضا عليه السلام، علمت أم أحمد أن الإمام الكاظم عليه السلام قد توفاه الله.

تعالت صيحات أهل الدار بالبكاء، وطلب الرضا عليه السلام منهم بكل محبة ووقار ألا يطلعوا أحدًا على الأمر حتى يصل الخبر من بغداد إلى المدينة. استشهد الإمام الكاظم عليه السلام في سجن هارون الرشيد العباسي، وكان الرضا عليه السلام على اطلاع بكل التفاصيل. كانت نظرة الغم والحزن جلية على مقليته الطاهرتين، وكان غبار الحزن واضحًا على وجهه.

بعد مضي عدة أيام وصلت رسالة من بغداد إلى حاكم المدينة، وكان مضمون تلك الرسالة باختصار:



«إن موسى بن جعفر عليه السلام قد فارق الحياة في سجن بغداد.»

ذهب الإمام الرضا عليه السلام في يوم استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام بإذن الله تعالى إلى بغداد خفية، وقام بتغسيل وتكفين بدنه الطاهر، وصلى عليه صلاة الجنازة وواراه في التراب، وعاد حزينًا إلى المدينة.

(انتهاء القسم الثامن)



ازداد حزن محمد بن سنان، وما إن وصل إلى المدينة ولاح له سورها حتى انتابه غم أثقل كاهله، حاول إخفائه عن الناس. نزع وشاحه الأسود وكلم نفسه قائلًا:



إن المدينة في غياب مولاي حزينة كئيبة، كيف سأستطيع أن أدخلها؟

(تصفح)

قمري الغريب
١



نزع وشاحه الأسود حتى لا يشك به رجال الحاكم، وترجل عن صهوة جواده، ومشى بحذر حتى عبر البوابة. كانت المسافة طويلة بين البوابة ومنزل الإمام الكاظم عليه السلام. ركب على ظهر الحصان مرة أخرى، وفي الطريق قال لنفسه: «مرت سنة كاملة وهو في سجن هارون! الله وحده يعلم كيف مرت عليه أيام السجن ؟!»

وانهالت دموعه...

حك أضراسه ببعضها البعض من الغيظ، و أثناء عبوره من سوق العطارين تذكر الإمام الرضا عليه السلام. كانت رائحته الذكية لا تغيب عن مخيلته، وتزيل عن كاهله هموم الحياة. تذكر لقاءه بالإمام الكاظم والرضا عليهما السلام قبل عدة سنوات. كان الإمام عليه السلام يجلس في غرفته وكان الرضا يجلس أمامه.

- سيحدث أمر عظيم في هذا العام، فلا تحزن ولا تخف وتثبت!



- سيشخصوني إلى مركز حكومة العباسي، لكن لا ينالني منه ولا من الهادي أذى!

- فديتك سيدي، ثم ماذا؟

- يضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء.

ذكر الإمام الكاظم عليه السلام أنهم سيسمونه. اغتم الرضا وأطرق سنان.

....

- ولكن ...

- لكن ماذا؟

- من ظلم ابني حقه وجحده إمامته من بعدي، كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه وجحد إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وجد ابن سنان نفسه عند منزل الإمام الكاظم عليه السلام، توقف وترجل.



لقد سمع أن الإمام الرضا عليه السلام يأتي كل يوم إلى بيت الإمام عليه السلام ويقيم هناك من المساء حتى الفجر، وكان يستقبل كل ابن سبيل يأتي إلى منزل، ويجيب عن مسائل الناس من بحر علمه الذي لا ينفد. كان المنزل لا يخلو من الفقراء وطلاب العلم ومن محبي الإمام عليه السلام. وما إن وصل ابن سنان إلى باب الدار حتى سمع صوت غلام من الداخل: من أنت؟

أجابه ابن سنان: أنا طالب علم همداني المولى، وقد أتيت لأقتبس من نور معارف الرضا. فُتح باب الدار، ورأى نورًا لامعًا من عيون تشع كأنها شمس في قلب السماء، ولا يشوب نورها إلا الحزن والغم.

(انتهاء القسم التاسع)


نار الجحيم
ImamRedaAS
كان زيد صعب المراس سيئ الطبع،
وعندما يكون مزاجه سيئًا لا يمكن
التحدث إليه، فكلامه يصبح لاذعًا
وإجابته فظة.
مرت عدة دقائق على مجيئه، وقد كان
شديد التوتر لا يستطيع الجلوس.
كان مضطرمًا. (تصفح)
قمري الغريب
١



كان مضطرمًا. أراد أن يذهب نحو المسجد يدعو الناس إلى نفسه بأعلى صوته. والده قد فارق الحياة قبل أيام، فنسي زيد كافة وصايا أبيه. لماذا لا أكون أنا الإمام؟ ما ينقصني عن الرضا؟ ألست قويًا؟ ألست عالمًا؟ أليس علمي شاملًا وغزيرًا؟ ألست حسن الخلقة ووجهي الجميل يحاكي نور الشمس وجمالها؟ أليس كذلك أيها الناس ؟

أجاب بعض الناس: نعم، إنك كذلك يا زيد، وإن شجاعتك تحكي ذلك.

وناداه أناس آخرون في المسجد: اخجل يا زيد، و اتق الله، تعال واستغفر ربك!

ازداد غضب زيد. جاء الموفق فمسك يده بسرعة وقال له:

- كفى الآن! تعال معي، أخوك يطلبك.

- ما الذي يريده مني أخي؟

واستطاع أن يأخذه إلى المنزل بعد أن استخدم كل السبل.





تبسم الإمام الرضا عليه السلام، أخذ زيد يحدق في عناقيد التمر المتدلية من أشجار النخيل. كان الإمام قد نصحه مرارًا وتكرارًا، إلا أن كلامه لم يلق أذنًا صاغية عند زيد. تنفس زيد الصعداء، والتفت إلى الإمام شامخًا بأنفه وقال: «لماذا أنت؟»

- يا زيد! لا تنخدع بكلام السفهاء من أهل الكوفة.

••••••••

- يقال إن نار الجحيم حرام على أبناء فاطمة عليها السلام.

ابتسم زيد ساخرًا، وتابع الإمام قائلًا: «يا زيد! غرك قول سفلة أهل الكوفة ... إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار... ذاك للحسن والحسين خاصة. إن كنت ترى أنك تعصي الله وتدخل الجنة، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذًا أكرم على الله من موسى بن جعفر! والله ما ينال أحد ما عند الله عزوجل إلا بطاعته.



وزعمت أنك تناله بمعصيته، فبئس ما زعمت.

لم يلتفت إليه زيد، وكان متوترًا دائم الحركة، وأراد أن يغادر. أحس أنه سيختنق، وأن السماوات بكل ثقلها قد أطبقت على صدره. وكان مغترًا بشرذمة يتبعونه طمعًا في ماله.

وللمرة الأخيرة أتم الإمام عليه السلام الحجة عليه وقال له:

- أنت أخي ما أطعت الله عزوجل. إن نوحًا قال: رب إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، و أنت أحكم الحاكمين. فقال الله عزوجل: «يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح» فأخرجه الله عزوجل من أن يكون من أهله بمعصيته.

صمت الإمام وبقي ينظر إليه. كانت عيناه تقدحان شررًا وغيظًا، ولم يطق الوقوف. أراد أن يشتم الإمام، فجف لسانه في فمه، ففر هاربًا.

(انتهاء القسم العاشر)


البيعة
ImamRedaAS
في أحد الأيام اجتمع جمع كبير من الناس عند باب منزل أم أحمد، وقد أتوا ولديهم مطالب وحاجات مهمة، وكانوا يهتفون باسم أحمد بن موسى، وأكثروا في طلبه، لكن السيد أحمد لم يقبل، فازداد إصرارهم، وأمسكوا بيده وصرخوا بصوت عالٍ:
(تصفح)
قمري الغريب
١



وصرخوا بصوت عالٍ: أنت هو الخليفة الحقيقي!

نحن لا نصدق زيدًا، إنه شخص كاذب، بل نحن مصدقون بإمامتك يا بن موسى!

- نصدق كل ما تقول! أنت قائدنا ومرشدنا!

- هيا تعال معنا إلى المسجد حتى لا يتفرق شمل الناس ويتبعثر جمعهم. وبينما كان الناس منشغلين بالكلام، ذهب السيد أحمد من بين الجموع و اتجه نحو المنزل وهو مذهول من هول ما يسمع وما يرى، ويقول: «كم هو غريب أمر هؤلاء الناس! قد أتم الإمام الكاظم عليه السلام حجته عليهم. وقد كرر كلامه أكثر من مرة، وقد أخبرهم بكل ما يجب فعله.» ارتدى عباءته الجديدة، ووضع عمامته الخضراء على رأسه، وتوشح بحمائل سيفه، وأرخى سدائل عباءته اليمنية على كتفيه، ومن بين الجموع ذهب قاصدًا مسجد الرسول صلى الله عليه وآله.



البيعة

تعالت صيحات الحشود الفرحة وهي تصلي على النبي صلى الله عليه وآله، وكان الناس خلفه كالسيل العارم، وكان يلتحق به الناس القادمون من الطرق الفرعية، وكل من يصل إليه يشد على يده ويبايعه، وكان الموفق بين الناس مذهولًا خائفًا:

- لماذا أحمد؟ هو يختلف عن زيد، و إنه إنسان صالح.

••••••••

اعتلى أحمد منبر الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت زوايا المسجد تعج بالناس الذين امتدت حشودهم إلى خارج فناء المسجد، وقد عم الصمت، وتفتحت الآذان لما سيقوله لهم. ألقى السيد أحمد خطبة عصماء أذهلت الحضور. خيّم صمت ثقيل على المسجد كله، ثم كسر هذا الجدار السميك من الصمت صوت السيد أحمد قائلًا: يا أيها الناس! هيهات منا ذلك!



تعجب الحاضرون! وأخذوا ينظرون إلى بعضهم، ما الذي يريد أن يقوله؟

- لم يخطر ببالي ولم أتوقع منكم أبدًا أن تأتوا وتبايعوني أنا، وهل تعلمون أنني قد بايعت شخصًا آخر؟ ما إن أبلغهم ذلك حتى بدأت علائم الحيرة تظهر على وجوه الناس، ونطقت ألسنتهم بكلمات عما يجول في خلدهم.

- ترى من يكون؟

- هل من المعقول أن يكون زيد النار؟

صاح بهم أحمد مُنهيًا حالة الجدل والحيرة قائلًا: «أيها الناس! كما أنكم بايعتموني، فإني بايعت أخي علي بن موسى الرضا.» دهش الناس بما أخبرهم به وسكت الجميع!

- واعلموا أنه الإمام والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله، والفرض عليّ وعليكم من الله ورسوله طاعته بكل ما يأمرنا.



نهض شخص من بين الجموع ورفع يديه وكبر الله سبحانه، ثم تبعه الجميع مكبرين الله جل اسمه، ثم نزل السيد أحمد عن منبر الرسول صلى الله عليه وآله، والتف الجميع حوله، وأحاطوا به كما يحيط السوار بالمعتصم، وكان تكبيرهم يعانق السماء. ثم بعد ذلك المشهد المهيب غادر السيد أحمد دون أن ينطق ببنت شفة.

....

استطاع أن ينزل الغشاوة عن أعينهم، وأن ينير بصيرتهم، وأن يرشدهم إلى طريق الصواب، وما إن وصلت الحشود إلى الزقاق المنتهي إلى دار الإمام الرضا عليه السلام حتى خرج الإمام لاستقبالهم. طلب السيد أحمد السكوت من الناس ثم قال: «يا أيها الناس! هذا هو إمامنا، هيا بايعوا أخي علي بن موسى الرضا، ليرضى عنكم الله ورسوله وأمير المؤمنين.



انطلقت حشود الناس مبايعة علي بن موسى الرضا عليه السلام إمامًا لها. فتح الإمام باب داره لاستقبال وفود الناس، ودعا الله لشقيقه أحمد ولكل زواره.

يمكنك تنزيل ومتابعة قصة «قمري الغريب» عبر قناة تلجرام العتبة الرضوية المقدسة

 ImamRedaAS



(انتهاء القسم الحادي عشر)



كان الرجل غارقًا في الفرح، وتجري في عروقه دماء نقية جديدة. ولو وضعت كل الدنيا في يد رجل وفي اليد الأخرى وضع حب وعشق الإمام، وسألته: ماذا تختار منهما لأجاب: عشق الإمام هو اختياري.

(تصفح)



كان وجه الإمام الرضا المبارك يزداد إشراقًا ورونقًا خلف نور الشمع، كانت عيناه تشع منهما المحبة والمودة في أنحاء المكان.

شعر الرجل بالفخر والعجب، لأنه في تلك الليلة سمع كلام الإمام الرضا عليه السلام لمرات متعددة، وقد زرعت تلك الكلمات بذور الإيمان والأمل في قلبه، وأعطته أجنحة ملائكية توصله إلى رضى الله تعالى.

كانت الأرض لا تسعه من شدة السعادة كونه ضيفًا لدى الإمام الرضا عليه السلام، وكان الإمام دائم التبسم أثناء كلامه، والرجل في غاية السرور في كل مرة تنطق به شفتا الإمام بحديث جديد، تلك الشفاه التي ما هي إلا نبع تتدفق منه أنهارمن النور.

اهتز السراج فجأة، وخفت نوره، وكان الإمام صامتًا وهو يحدق في الرجل ...



فمد الرجل يده ليصلح السراج، أراد أن يزيل الرماد عن فتيله.

فسبقته يد الإمام عليه السلام إلى ذلك بلطف، وقال: «أنت لا تفعل ذلك!»

كانت قطرات العرق تغطي جبين الرجل، وكانت عمامته مبتلة منها.

أصلح الإمام عليه السلام فتيل الشمع وتابع قائلًا: «إنا قوم لا نستخدم أضيافنا.»

••••••••

أطرق الرجل ونظر إلى الأرض خجلًا من هذا الإمام الذي هو بحر من المحبة والمودة.



(انتهاء القسم الثاني عشر)



وضع الغفاري رأسه بين يديه، وقد كان موضوع طيس يشغل فكره. فقد كان شكله أشد قسوة عما سبق. عيناه كانتا صفراوتين، وعروق الدم فيهما بارزة كأن ليس في جسمه قطرة دم. قبل قليل أمسك طيس من تلابيبه وقال: مهلًا، إلى أين يا غفاري؟

تمتم الغفاري وأجابه: والله ما عندي شيء. لا تخجلني أمام الناس وأهل بيتي! اصبر، عسى الله يفرج عني. (تصفح)



تغيرت ملامح طيس العبوس فجأة! وضحك كثيرًا حتى كاد أن ينفجر، ولكنه لم يلبث كثيرًا حتى عاد إلى حالته الأولى من الاكفهرار، وأمسك لحيته بيده وقال بنبرة حادة: «اليوم أريدها، لقد تحملت كثيرًا وأمهلتك أكثر وأعذرتك، فإما تعطيني مالي اليوم، وإما أزهق روحك!»

وألقى نظرة خاطفة حوله، فوجد أربعة أشخاص ضخام البنية مستلقين تحت ظل شجرة الصفصاف، وقد كانوا ينظرون إليه باستهزاء، وكانت خناجرهم تلمع من تحت عباءاتهم. جفل الغفاري، وارتاع قلبه عندما رأى وميضها. ثم تكلم: حسنًا سأعطيك قرضك اليوم. أطلق سراحي الآن.

و ابتعد الغفاري بسرعة، وكان صوت قهقهتهم يملأ كل مكان، وقد أخذ بعض المارة من الرجال والنساء يرمقونه بنظرات الشفقة والعطف.



كان يشعر بثقل رأسه، وأصبح الحمل المعلق برقبته كبيرًا، وهو قليل الحيلة لا يملك شيئًا، وكانت دقات قلبه متسارعة من هول ما هو فيه.

كان المسجد خاليًا. صلى الفجر وعزم على الذهاب.

- إلى أين يا غفاري؟

••••••••

عاد الغفاري وهو فاقد الأمل، وقال لخادم المسجد:

- قال الموفق بأنه ذهب إلى العُريض، سأذهب إلى هناك.

واستقل على ظهر حماره المنهك، فكان عليه أن يسير إلى القرية التي تقع خارج المدينة، وكان يسير ببطئ شديد، ولم ينظر خلال مسيره إلى أي أحد، وكل ما كان يشغل فكره هو متى سيصل إلى العُريض؟



كان يعرف كوخ الإمام الرضا عليه السلام، وقد استوقف عدة أشخاص من القرويين أثناء مسيره وتفقد أحوالهم حتى أوصله الدرب إلى مقصده، وما إن نزل عن ظهر الحمار حتى سمع صوتًا يرحب به...

تفقد الإمام الرضا عليه السلام أحواله بمنتهى السرور والسعادة. خجل الغفاري من أن يفصح عن حاجته للإمام، لكن بشاشة الإمام ولطافته أزالت الخجل منه.

- جعلت فداك يا سيدي! إني مقروض لطيس، وقد ألح في طلب قرضه، وفضحني بين خلق الله.

تغير حال الإمام عليه السلام، سكت قليلًا، ثم قال: «اجلس حتى أعود.»

اعتقد غفاري أنه حتمًا سيطلب من طيس أن يستمهله من أجل إرجاع دينه.

جلس جنب الكوخ. أتى المغرب ولم يعد الإمام عليه السلام، وقد حان وقت الإفطار.



وقف الغفاري لإقامة الصلاة، وبعد الصلاة أحس أن الوقت قد تأخر، وقرر أن يعود، فما إن همّ بالسير حتى استوقفه صوت الإمام عليه السلام يناديه، فعاد إلى حيث كان الإمام.

- تعال إلى هنا!

....

ذهب باتجاه الكوخ ودخله، وكان قلبه يخفق بشدة من القلق. «ترى، ما الذي سيخبرني به الإمام عليه السلام؟! حتى إن أمهلني طيس عدة أيام أخرى، فأنا لا أملك النقود بالنهاية.» وسيطر التوتر والخوف عليه مرة أخرى. دخل إلى غرفة صغيرة. خاطبه الإمام باحترام قائلًا: لا أظن أنك قد تناولت الإفطار.

- لا يا مولاي.



طلب الإمام من خادمه أن يحضر الطعام. كان قد نسي الجوع من كثرة ما فكر بطيس. وضع الخادم الطعام أمامهما. لم يتناول الإمام إفطاره إلا بعد ما جلس الخادم معهما. بعد أن أنهوا طعامهم، قام الخادم برفع الأطباق وأخذها إلى المطبخ. قال الإمام عليه السلام: «مدّ يدك تحت الفراش، وخذ كل ما تجده تحته! فهولك.»

تعجب الغفاري من ذلك! ونظر تحت الفراش الذي كان يجلس عليه. انفرجت أساريره عندما رأى كيسًا أسود، فهزه بيده ليعلم ما بداخله، ويا لها من فرحة، فقد كان مملوءًا بنقود ذهبية.

أخفى الكيس تحت عباءته، وشكر الإمام، وقبّل يده، وخرج من الكوخ. امتطى حماره، وذهب فرحًا جدًا إلى منزله، وكان أهل بيته يغطون في نوم عميق. كانت هناك شمعة صغيرة، أشعل فتيلها، ثم أخرج كيس النقود و أفرغه على السجادة.



كان في الكيس ثمانية وأربعون دينارًا ذهبيًا، وكان مندهشًا جدًا. «سأعطي طيس ثمانية وعشرين دينارًا، وأحتفظ بعشرين دينارًا، سأحسّن بها حالي.» ونظر إلى السماء بعينين تملأهما الدموع وقال: الحمد لله رب العالمين. أراد أن يجمع الدنانير ويعيدها إلى مكانها، ولكن لفت نظره أحد الدنانير، عندما التقطه، نظر إليه وكان

....

وكان مكتوبًا عليه شيء. فلما تأمله جيدًا، رأى أنه كتب عليه (ثمانية وعشرون لطيس والبقية لك)، فبكى من شدة التأثر.

- يا الله! ما هذا الإمام العظيم الذي يعلم كل شيء عن حياة أتباعه؟!

(انتهاء القسم الثالث عشر)





كان العصفور يطير وينقر الأرض ويزقزق، ويقبض جناحيه المكسوين بالريش الناعم مرة ويبسطهما أخرى، ثم يمشي فترة. كانت نظرات الإمام وهي تتابعه تنمّ عن تفكير عميق، وكأنه يتساءل: ترى ما الذي يريده ذلك العصفور؟ حكّ سليمان ذقنه ثم ضحك، وظن أنه إذا وثب سيستطيع أن يمسك الطير بيده، ولكن العصفور قفز ثم حلّق مطلقًا زقزقة عالية.



(تصفح)



وقف الإمام مباشرة وتلفت حوله، والتقط عصاه التي كانت بجانب الشجيرة، وأشار بها نحو سليمان وقال: هل تعلم ما الذي يقوله العصفور يا سليمان؟

.لا، ما الذي كان يقوله؟

يقول: لقد جاء ثعبان إلى عشي، ويريد أن يأكل أفراخي. خذ هذه العصا، و أبعد ذلك الثعبان عن عشه.

التقط سليمان العصا بسرعة، وكان العصفور يحلّق فوقه ويدله على مكان العش. كان سليمان مسرعًا خلفه، وكان الإمام عليه السلام و اقفًا ينظر إليهما بقلق. حلّق العصفور إلى آخر البستان حتى وصل إلى جانب عشه، وأخذ يخفق بجناحيه، ويزقزق بشدة قرب فتحة كانت في حائط من الطين. وصل سليمان إلى هناك متعبًا، ورأى ثعبانًا أسود اللون يزحف نحو الأعلى خارجًا من الحائط مخرجًا لسانه من





لسانه من فمه، ويفحّ فحيحًا مخيفًا.

اختبأ سليمان خلف الشجرة، وكان العصفور مضطربًا يخفق بجناحيه باستمرار فوق الحائط. مسك سليمان العصا، ورفعها نحو عش العصافير الذي كانت تسمع منه زقزقة الفراخ الصغيرة، فضرب رأس الثعبان بالعصا بسرعة.

....

تهاوى الثعبان من على الجدار وسقط على الأرض، فعاجله سليمان بضربات متتالية، و أفقدته حياته. جلس بعدها بجانب الثعبان يلتقط أنفاسه.

مشى الإمام نحو العش، وحط العصفور خارج عشه، وهيمنت عليه سكينة عجيبة، وكان الهواء يداعب ريشه الناعم. وعندما رأى الإمام عليه السلام، بسط جناحيه وأخذ يزقزق بفرح وسرور شاكرًا إياه.

(انتهاء القسم الرابع عشر)



استعد الضيوف للرحيل، وكان الحزن يملأ صدورهم، لأنهم سيبتعدون عن الإمام، وإن لوداعه طعمًا مرًّا كالعلقم. وأن اللقاء به يساوي الدنيا بما عليها.

ودّعهم الإمام بحرارة، وصافح كلًا منهم. كان الليل قد خيم على المدينة بأكتعها. همّ الضيوف بالرحيل، ومشوا نحو الرواق المنتهي إلى خارج المنزل، وفجأة استوقفهم صوت الإمام عليه السلام ينادي: (تصفح).



ينادي: أحمد البيزنطي! ابقَ ولا تنصرف!

انتظر الضيوف جميعًا. وضع أحمد يده على صدره: أنا؟

- نعم أنت.

نظر الضيوف نحو أحمد بغبطة وقالوا: كم أنت سعيد الحظ يا أحمد!

- ما الذي سيحدث لو كنا محظوظين مثلك وبقينا بجوار الإمام عليه السلام؟

ذهب الضيوف ودخل أحمد الغرفة، ولكن هذه المرة كان خجلًا، وأحنى ظهره احترامًا.

جلس الإمام عنده، وبدأ الحديث معه، وشاركه البيزنطي الكلام. كانت تجول في خلده أسئلة لا يحصى عددها، ولو بقي حتى الفجر لن ينتهي منها.

كان الإمام عليه السلام كبحر علم لا ينضب أبدًا، وقلبه كبستان مليء بالعنب، فمهما قطفته من عناقيد الياقوت، فإنها لن تنقص. تناول البيزنطي العشاء مع الإمام، ثم



استأنفا الحديث. مضى وقت من الليل وحان وقت النوم. وقد أحس البيزنطي أن الوقت قد تأخر ويجب عليه أن يذهب، لكن قلبه لم يطاوعه على مفارقة الإمام.

- هل ستغادرنا الليلة أم تود أن تبقى عندنا؟

مسح البيزنطي رأسه بيده وتمنى أن يبقى، ولكنه استحى من الإفصاح عن ذلك.

....

- أنا ... أنا طوع أمرك، إن قلت: ابق، بقيت؛ وإن قلت: اذهب، فسأرحل.

- من الأفضل أن تبقى وتنام الليلة هنا.

- فرح البيزنطي لسماع ذلك، وتبسم و انبسطت أساريره. وضع يديه على خديه الحمراوين من شدة حرارتهما، وكان قلبه ينبض بسرعة تضاهي أنفاسه المتسارعة.

- هذا هو فراشك.



- لماذا أنت يا مولاي؟ أنا أهيئه.

وضع الإمام الفراش على الأرض، وقدم له وسادة وملاءة، ووضع لباس النوم بجانبها، ودعا له ثم ذهب إلى غرفته. أغلق الباب، وكانت سعادة البيزنطي لا توصف، رفع يديه إلى السماء وقال: يا لها من فرحة عظيمة، إنه لشرف كبير أن أكون ضيفًا في بيت الإمام عليه السلام، وأن أنام ليلة فيه، وإن كل أحبائه يتمنون ذلك. مسح بكفه دموعه المنهمرة.

- لقد وضعت قدمًا في الجنة يا بيزنطي، هنا جنة النعيم ورائحة الفردوس، كم أنت محظوظ!

توجه نحو القبلة. ثم شكر ربه، وسجد له سبحانه، وطفق يناجيه أثناء سجوده.

ما إن رفع رأسه من السجود حتى انفتح الباب، ووقف الإمام بجانبه، وأخذ يده





وأمسكها بعطف، وجلس بجانبه وقال: يا أحمد، ذات يوم من الأيام ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى زيارة صعصعة بن صوحان وكان من محبيه. وعندما أراد الرحيل قال له: يا صعصعة! أنا جئت لزيارتك. يا صعصعة! لا تجعل عيادتي إياك فخرًا على قومك، وتواضع لله يرفعك الله.

....

وبمنتهى اللطافة ترك الإمام يده، أشار إليه أن يستلقي على الفراش، ووضع الإمام عليه السلام الملاءة عليه، وغادر الغرفة.

تنفس البيزنطي الصعداء، ووضع رأسه على الوسادة.

(انتهاء القسم الخامس عشر)



بقايا الفاكهة

كان الإمام الرضا غير مرتاح، وبان عليه الاضطراب والقلق، وكان نظره مشدودًا إلى جهة الأرض.



سأله أحد أتباعه: لماذا أنت غير مرتاح يا مولاي؟ ما الذي حدث مولاي؟

أراه الإمام قطعة من الفاكهة كان قد أُكل منها. قد أكلها أحد عبيده، وقد رمى النصف الآخر هناك.

سأل الإمام: من الذي أكل (تصفح)

قمري الغريب
١



سأل الإمام: من الذي أكل تلك الفاكهة؟

تقدم أحد العبيد وأجاب بخجل شديد: أنا يا مولاي.

نظر إليه الإمام مؤنبًا وقال: سبحان الله! لماذا تسرف؟ لماذا تتهاون بنعمة الله؟

ألا تعلمون أن الله يعاقب المسرفين أشد عقاب؟

ثم التفت إلى أصحابه وقال: إن كنتم استغنيتم عنه، فلا تستهلكوه سدى. لا تبددوا شيئًا بلا طائل، وإن استغنيتم عنه، فهبوه إلى من يحتاج إليه.

(انتهاء القسم السادس عشر)

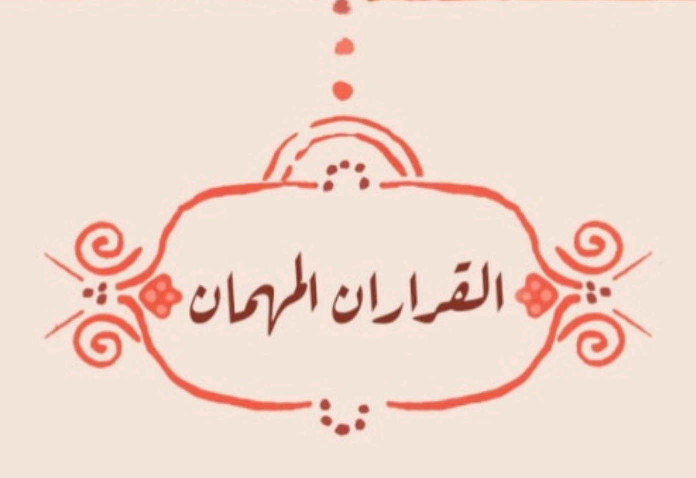




غطت الدموع وجه الريان، كأن كافة أعضائه تبكي، فهو لا يعرف الهدوء والاستقرار أبدًا. حضنه الإمام عدة مرات ودعا له ومسك يديه بلطف. لقد كان مقربًا من الإمام كثيرًا، ومحبًا له، وكان من شدة إخلاصه للإمام يضع كل ما يملك تحت تصرفه. وقف غلامه جنب الباب، وكان ينظر إليه (تصفح)



قمري الغريب ١



ولجام الحصان في يده، وكان الحصان أيضا مضطربًا لا يهدأ. ودع الريان الوداع الأخير، ونظر إلى وجه الإمام النظرة الأخيرة. ما إن نظر إلى غلامه مشيرًا إليه بدء مسيره حتى استوقفه صوت:

- ريان!

عاد بسرعة. فهل هناك شيء يساوي رؤية الإمام مرة ثانية؟ كان الإمام قد أخرج رأسه من الغرفة:

- ريان! عد يا ريان!

- أعود يا مولاي؟

وكانت الحيرة وأسئلة كثيرة تشغل باله، وهو على تلك الحالة وقف أمام الإمام، تبسم له وقال: أتامرني بشيء يا سيدي؟



كان في يد الإمام كيس من النقود، مد يده إليه وقال له: «أما تحب أن أدفع إليك قميصًا من ثياب جسدي تكفن فيه إذا و افاك أجلك؟»

كان قلب الريان يرقص من الفرح. والدهشة ملأت وجوده. ما الذي تقوله مولاي؟

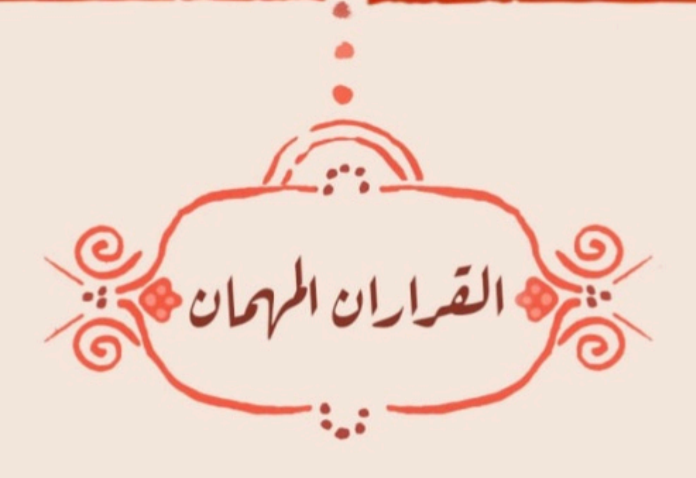
ما أنهى الإمام كلامه بعد...

....

- أوما تحب أن أدفع إليك دراهم تصوغ منها لبناتك خو اتم؟

أجابه الريان والحيرة تشغل فكره: يا سيدي، قد كان في نفسي أن أسألك ذلك، فمنعني الغم لفر اقك.

أخذ النقود والثوب العبق الر ائحة، ومن شدة تأثره غمرت الدموع عينيه، ونزلت عدة قطرات على قميصه، وضع الهدايا في خرج الحصان وذهب برفقة غلامه.



كان غلامه ممتطيًا حصانًا آخر يفكر ... ترى ما الذي غيّر حال سيده وجعله كئيبًا؟ وأراد أن يستفسر منه عن ذلك لكنه لم يجرؤ.

استوقف الريان ركبه بالقرب من مزرعة نخل، وترجل عن حصانه، وتبعه غلامه فورًا.

أخرج الريان الثوب وأخذ يشمه وهوينشبح، ثم ذهب نحو بئركان هناك و انتحب باكيًا.

مضت عدة دقائق لم يتحمل الغلام بعدها. ذهب نحوه وقال:

- ما الذي حدث سيدي؟ ما الذي قاله مولانا وجعل حالك هكذا؟

أجاب الريان: اليوم وقبل أن أودع الإمام عليه السلام، قلت في نفسي: إذا ودعته سألته قميصًا من ثياب جسده الشريف لأكفن فيه، ودراهم من ماله الحلال الطيب لأصوغ لبناتي منه الخو اتيم، فلما ودعته شغلني البكاء والأسى على مفارقته عن مسألته، ولكن الإمام كان قد هيأ لي ما طلبت و أنا لا أشك للحظة أنه يعلم حال أتباعه ومحبيه ومطلع



على حاجاتهم.

تعجب الغلام لما سمع، وضرب الريان وجهه بيديه وقال:

كم أنت مظلوم يا مولاي وغريب هنا.

(انتهاء القسم السابع عشر)



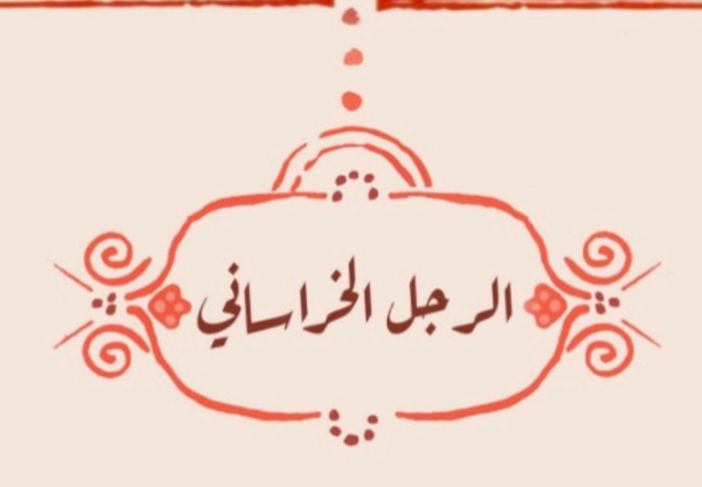
قال ابن حمزة لسليمان: فكّر بشكل أفضل، تتذكره.

قال سليمان: تذكرت، نعم صحيح، كأنه عدة أيام مضت.

أخذ ابن حمزة غصنًا من الرمان، ووضعه في مجرى الماء.

توقف ربيع عن عمله، فقد كان يوجه الماء ليصل إلى إحدى النخلات

(تصفح)

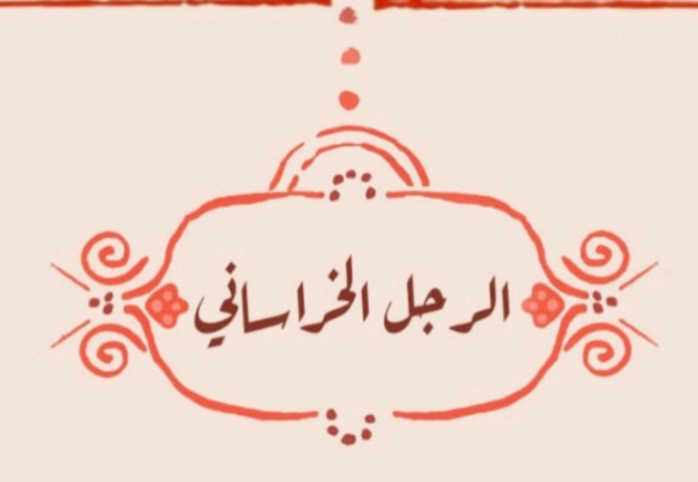


وأخذ نفسًا عميقًا: جيد، أخبرني ما الذي حدث؟ وضع مسحاته تحت قدمه مرة أخرى.

رفع سليمان عمامته عن رأسه ورش الماء على شعره المجعد، وما إن أراد أن يهمّ بالكلام حتى استبقه ابن حمزة قائلًا: كان يومًا لطيفًا، كانت الغرفة الخارجية لمنزل الإمام مكتظة بالناس، وكل منهم يسأل سؤاله وفق دوره. أحدهم سأل عن القرآن، وثانٍ عن الآخرة، وثالث عن الجن والملائكة، والآخر عن الحلال والحرام. أجاب الإمام الجميع بلباقة وكياسة، وملأ أرواحهم ر أفة ورقة. فإذا بهم ...

و أثناء كلامه قاطعه سليمان قائلًا: لقد جاء الرجل الخراساني.

وقف سليمان وخرج مسرعًا من الجدول المملوء بالماء. أحكم عمامته على رأسه وتابع كلامه: كان الرجل حازمًا حسن المنطق و أنيقًا. حيث يدل أنه ليس من أهالي المدينة. ترك ربيع عمله وجلس تحت النخلة، وأخذ يحدّق بنظرات حادة تنمّ عن تفكير عميق،



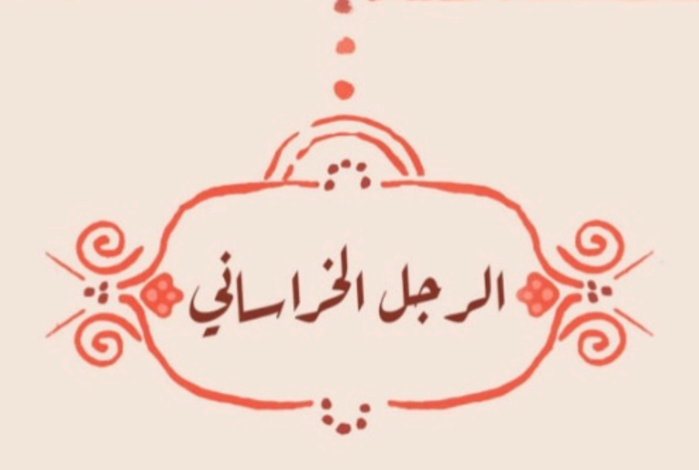
فقد انسجم مع كلامهما أتم الانسجام تغريدات البلابل البرية التي كانت تحلّق بالأرجاء.

واصل ابن حمزة حديثه قائلًا: من الممكن أنه كان مع خدمه وحشمه، ما عرفنا ذلك، أيًا كان، فمن المؤكد أنه من أشراف قومه.

سأله ربيع: جيد، ماذا كان يريد؟

....

أجابه سليمان: فجأة في الجهة الأخرى من الغرفة وقف وقال: السلام عليك يا بن رسول الله، رجل من محبيك ومحبي أجدادك عليهم السلام، مصدري من الحج، وقد فقدت ما في حوزتي أثناء رجوعي إلى خراسان، ولا أملك معي أي مال لأقطع طريقي إلى دياري، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، و إني صاحب أموال وفيرة في دياري. فلست موضع صدقة، إن تكرمت عليّ وأرسلتني إلى دياري. فإذا بلغت بلدي، تصدقت بالذي تعطيني إياه.



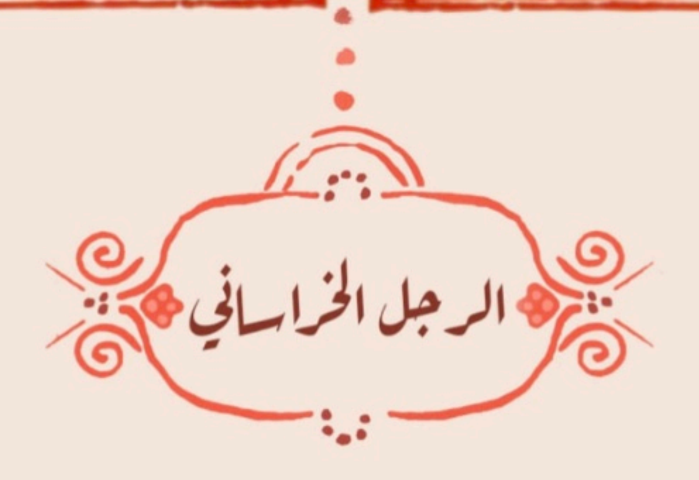
كانت أنظارنا مشدودة إليه، وكان الصمت يهمين على شفاهنا جميعًا. وقف الإمام بكل احترام وكياسة، وتفضل قائلًا: اجلس يا أخي رحمك الله.

و أقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا، وبقينا أنا و ابن حمزة وخثيمة. أليس كذلك يا بن حمزة؟

- بلى صحيح. خلا المنزل من كل الناس إلا نحن الثلاثة، بقينا في طرف الغرفة جالسين. فقد كان لدينا حاجة مع الإمام، وبقي الرجل الغريب جالسًا معنا.

نظر إلينا الإمام وقال: أتأذنون لي بالدخول داخل البيت؟

أجبنا نحن الثلاثة بحياء وخجل: يسر الله أمرك، والإذن إذنكم. فقام الإمام فدخل الحجرة وبقي ساعة حتى سمعنا صوته.



تقدم ربيع وقد جعله الحديث العذب لابن حمزة وسليمان حائرًا مشتاقًا. رش ابن حمزة الماء بيده على وجهه وشرب أخرى وقال: آه يا مولاي! أين أنت؟

خنقت سليمان العبرة. نظر إلى سليمان وقد أراد أن يتابع كلامه. قال سليمان: خرج الإمام وردّ الباب، وأخرج يده من أعلى الباب وقال:

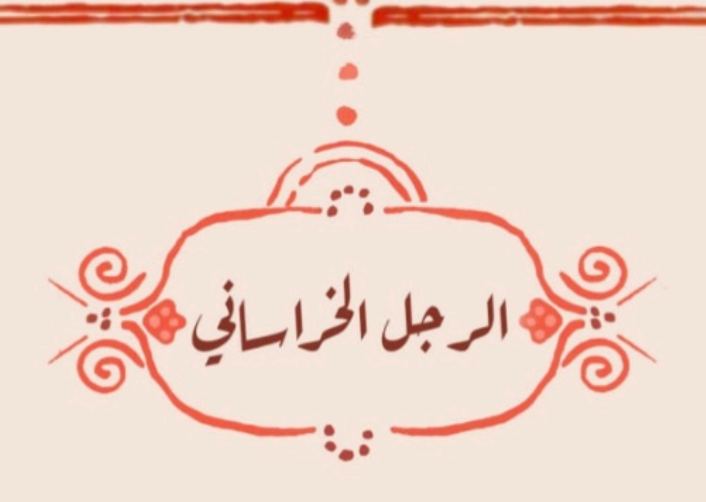
- أين الخراساني؟

تعجبنا نحن الثلاثة، اقترب الرجل الخراساني من الباب وقال: ها أنا ذا.

....

وضع الإمام كيسًا في يده وقال: خذ هذه المئتي دينار واستعن بها في مؤونتك ونفقتك، وتبرك بها ولا تتصدق بها عني، واخرج، فلا أراك ولا تر اني.

شكره الرجل الخراساني وخرج من الغرفة والسعادة تملأ قلبه.



وما إن دخل الإمام الغرفة حتى سألته: جعلت فداك! لقد أجزلت ورحمت، أما ما لم نفهمه أنه لم سترت وجهك عنه؟ وقال ابن حمزة وخثيمة: نعم، لماذا؟

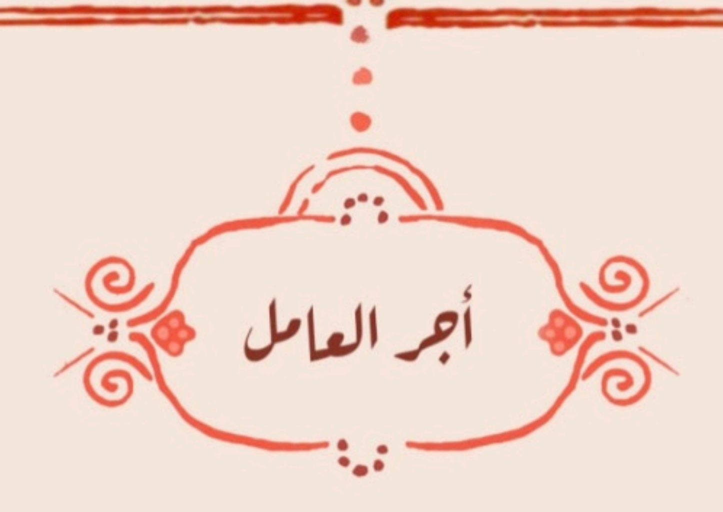
جلس الإمام بجانبنا وأجابنا بسعة صدر قائلًا: مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «المستتر بالحسنة، يعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له»؟

نظر ابن حمزة وسليمان إلى بعضهما بعد أن جفلا من تنهد ربيع. أراد أن يسأل سليمان: ما بك يا ربيع؟ ولكن ابن حمزة أومأ إليه: لا تقل شيئًا.

بكى ربيع العامل الشاب والنشيط وقال: لقد أصبح قلبي متعلقًا بالإمام، خذوني الآن إلى منزله، لا أستطيع ذلك لوحدي ... لقد اشتاقت قلوبنا إلى لقياه.

(انتهاء القسم الثامن عشر)


أجر العامل
ImamRedaAS
كان سليمان مع الإمام لوحدهما، وكانا منشغلين في الكلام أثناء سيرهما في
الطريق، وعند منعطف الطريق وقف
سليمان ونظر إلى الإمام باحترام، وكان
الإمـــام أيضًـــا واقـــفًا.
قال سليمان: لقد تأخر
الوقت، ويجب أن لا
أتعبك أكثر من ذلك.
كانت الشمس (تصفح)
الغريب
قمري
١



أجر العامل

كانت الشمس تميل نحو الغروب، وقد بدأت تودع هذا اليوم، وكانت نسمات الهواء العليلة تهب من بين أشجار النخيل.

أجاب الإمام بلطف كبير: انصرف معي، وبِت عندي ليلة.

انفرجت أسارير سليمان كوردة تفتحت في الربيع لما سمع ذلك، وما إن سمع ذلك حتى أجاب بالقبول من فوره، ثم تابعا السير نحو المنزل.

انبعث صوت من جهة الإصطبل، توجه نحوه الإمام وتبعه سليمان.

ترك الغلمان عملهم وألقوا السلام على الإمام، وكان العرق يغطي وجههم وصدى أنفاسهم يملأ المكان. تبسم لهم الإمام ثم تابعوا أعمالهم. وقع نظر الإمام على عامل ليس منهم وقال: من هذا الرجل معكم؟

أجابه الغلمان: يعاوننا ونعطيه شيئًا.



سأل الإمام: هل عينتم أجرته؟

قالوا: لا، هو يرضى منا بما نعطيه.

تغيرت حال الإمام وبان عليه الانزعاج، ترك سليمان وذهب نحو الفناء، وتقدم نحوه سليمان وقال: جعلت فداك، لماذا غضبت؟

....

أجابه الإمام بنبرة حزينة: إني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة، أن يعمل معهم أحد حتى يعينوا أجرته، فإنه حتى لو أخذ ثلاثة أضعاف أجره، فسيشعر بأنه أخذ أقل من حقه؛ ولكن لو قاطعناه، سيأخذه وهو راضٍ ونحن نكون قد وفينا بالعهد؛ وإذا أعطيناه أكثر، فذلك من سماحة أنفسنا وفضلنا عليه.

(انتهاء القسم التاسع عشر)



يقول عبدالله: كنت أعتقد بالمذهب الواقفي، وكنت شديد الاعتقاد بل كان إيماني راسخًا بأفكاره. ولكن ذلك الإيمان والمعتقد لم يكن على أساس التعقل. وكنت أتبع هذا المذهب جهلًا. في إحدى السنوات ذهبت إلى الحج، وما إن دخلت الكعبة الشريفة حتى تفتح قلبي وانشرح صدري. انهمرت دموعي بلا انقطاع، كأنها عناقيد متصلة ببعضها.

(تصفح)



قمري الغريب

١



كانت أصوات بكائي تخترق المسامع دون اختياري و أنا أقبّل أستار الكعبة و أتبرك بها، و أنادي باسم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الشرفاء عليهم السلام حتى الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام.

أذكر كلًا منهم و أتوسل إلى الله بهم وأذرف الدموع محبة وشوقًا إليهم. فجأة داهمني شعور غريب، تخدرت يداي، وتركت أستار الكعبة، ولم تعد قدماي قادرتين على حملي. قلت لنفسي: كأن سبب ذلك هو عناء الطريق وبكائي المتواصل. ذهبت إلى جنب أحد الجدران وجلست هناك. وما هي إلا دقائق حتى تحسن حالي، وأخذت أفكر في الأئمة المظلومين ولكن في هذه المرة كان شك يساور قلبي.

كان هناك صوت يصرخ في أعماقي و أقول: ترى ماذا حدث يا عبد الله بعد الإمام الكاظم؟ وكان هذا الصوت لا يفارقني وكأنه وحي آتٍ من السماء يسكن قلبي.



نهضت ونظرت نحو الكعبة. كانت الأنوار تشع منها و أخذت أنظر نحو السماء كأنها مليئة بالطيور البيضاء. ما هذا الذي رأيته؟

كان الناس منشغلين في مناسكهم. وقفت وكنت أشعر بالعجز الشديد، نظرت نحو الكعبة وقلت: ما الذي حدث يا إلهي؟

....

ذلك الشك الذي ساورني غيّر حالي وجعلني مضطربًا. كانت تلك الطيور تهبط نحو الكعبة وتختفي فيها. قلت: شيء ما يحدث لي دون بقية الحجاج. انظر! انظر! لا ينظر أي منهم إلى السماء. بعد الإمام السابع ... عبدالله ... عبدالله!

ازداد الشك والحيرة في قلبي نحو مذهبي. أسئلة كثيرة جالت في ذهني، أهمها: ماذا أفعل يالهي؟ إذا كنت مخطئًا فما هو خطئي؟ في النهاية ماذا بعد الإمام السابع؟



أجبني و أزل الحيرة عن قلبي.

كان الحجاج منشغلين في عبادتهم. أردت أن أصلي، لكن يديّ لم تساعداني على فعل ذلك.كانت أنظاري مشدودة نحو الكعبة الشريفة وكانت أنوارها تجعل الدموع تنهمر من مقلتي دون توقف.

شيء ما جعلني أدعو ربي سبحانه قائلًا: إلهي أنت تعلم حالي أكثر مني، أرشدني إلى طريق الصواب، ولا تتركني حائرًا في جهلي.

جلست بعدها وأملت برأسي، و وضعت يديّ تحت حنكي، وأخذت أحدّق إلى الكعبة الشريفة. يا الله سبحانك! ما الذي أراه؟ تكاد الكعبة تضحك سرورًا. أدهشتني تلك الطيور التي كانت تحدق بي من على سقفها.

وصل إلى مسمعي صوت يقول: الرضا ... الرضا!



تساءلت بصوت مرتفع وقلت: الرضا؟ من يكون الرضا؟

لم أفهم شيئًا. تكرر ذلك الصوت مرة أخرى، ولكن كان يقول: الرضا ... الرضا في المدينة! وقلت في نفسي عندها: المدينة!

لا بد أن يكون الرضا بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام!

الرضا في المدينة! هو هناك يا عبد الله!

التقطت أنفاسي قليلًا وكان بدني يشتعل من الحرارة.

....

ذهبت نحو بئر زمزم أغسل وجهي و أبرد بدني بمائه العذب.

- يجب أن أذهب إلى المدينة وأرى الرضا. فلا بد أن هناك أجوبة عما يدور في فكري.

سرت نحو المدينة حتى وصل الجمل إلى قرب منزل من كنت أقصد.



ترجلت عنه من فوري وتركته. ثم توجهت نحو الدار أطرق بابه. جاء أحد الغلمان وقال: ما الذي تريده؟ قلت له: قل لمولاي: إن هناك رجلًا من العراق قد جاء لزيـارتك. كان قلبي يخفق بشدة، وكان لأنفاسي أزيز مسموع. كنت متعبًا من الطريق، وكانت رمال الصحراء ممزوجة بعرقي الجاف على بدني. فأنا لم أتوقف قرب بئر من الآبار على الطريق لكي أستريح و أنظف نفسي. خطف ذلك الصوت الأمان من كياني.

فجأة! خرج رجل أنيق المظهر من المنزل، وصرخ قـائلًا: «ادخل يا عبد الله بن المغيرة!»

لم أصدق ما سمعت، وسألت: أنا؟ أدخل؟

لكني لم أتحرك وبقيت ساكنًا، ما الذي سمعته؟ من أين علم اسمي؟

موفق ... لا ... لا يعرفني أبدًا. قبضت على مقبض الباب بقوة وحيرة. قلت في نفسي: يا إلهي! ما حكمة هذا السر الغامض؟



ما إن دخلت بضع خطوات داخل الرواق حتى شممت رائحة أعواد البخور التي كان عبقها يملأ المكان. تعامل موفق معي بفائق الاحترام، وكان الإمام الرضا عليه السلام ينظر إلي وهو يقف بجنب حديقة مليئة بالورود ذات اللون الأحمر و الأبيض. كان وجهه يشع نورًا كالبدر في تمامه. من شدة الذهول لم أقل شيئًا سوى: السلام عليكم.

همس موفق في أذني: هذا هو الإمام الرضا عليه السلام، اذهب إليه.

فرحت عند سماع اسمه. تبسم لي، و اقترب مني ليرحب بي، وضم إلى صدره بدني المنهك. فزال عني كل الإرهاق و الألم.

-لقد استجاب الله دعاءك يا عبد الله، ولقد هداك إلى دينه القويم.

ألقيت نفسي على قدميه وقلت: أشهد أنك حجة الله وأمينه على خلقه!

(انتهاء القسم العشرين)





ذات يوم دعا الإمام الرضا عليه السلام تلميذه داود بن قاسم إلى منزله. جاء داود بلهفة شديدة و شوق ملبيًا الدعوة، وجلس عند الإمام عليه السلام واضعًا يديه على ركبتيه. سأله الإمام عليه السلام بنبرة تحمل الجدية: لماذا تجالس عبد الرحمن بن يعقوب؟ ملأت الحيرة داود، وذهب فكره مذاهب شتى. ترى لماذا سألني الإمام؟ وما يقصده من ذلك؟ (تصفح)





وما الخبر المشين الذي سمعه من عبد الرحمن؟ كلها أسئلة جالت في فكره وجعلته أسير حيرته. تاهت الأجوبة في ذهنه، ولم يساعده فكره على إيجاد الجواب المناسب. ولكن أجاب قائلًا: عبد الرحمن خالي.

أجابه الإمام على الفور قائلًا: إنه يقول في الله قولًا عظيمًا، يصف الله، والله لا يوصف. تغير حال داود و اختلجت عيناه! وحدّث نفسه قائلًا: ترى ما الذي سمعته؟ خالي عبد الرحمن هكذا؟ فإما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته! ارتأى قلب داود وتحير! ما الذي أسمعه؟ لا يستطيع داود أن يترك الإمام عليه السلام، ويعز عليه فراق خاله أيضًا.

خطر على ذهنه فكرة. جمع أفكاره المشتتة وقال: لن يصيبني شيء منه مهما كانت عقيدته أو يؤمن به ويقول، ما يضرني منه إذا لم أقل ما يقول؟



ازداد إصرار الإمام عليه السلام، فقد تطلب الأمر أن يعيد الدرس لتلميذه.

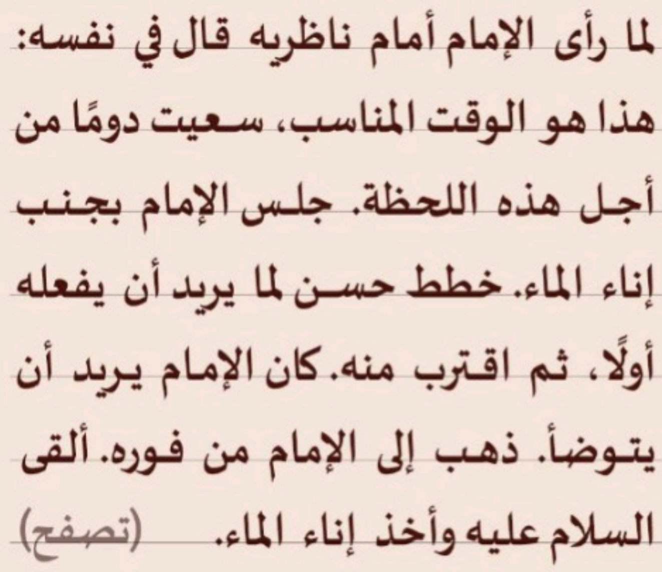
ألا تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعًا؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام، وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى، تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فعصى أبوه و هو يراغمه حتى بلغا طرفًا من البحر فغرقا جميعًا، فأتى موسى عليه السلام الخبر، فقال: هو في رحمة الله، ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع.

قرر داود ألا يخالف أمر الإمام، وأن يفعل ما طلبه منه، و وضع يده على رأسه مطيعًا الأمر، وقال: على العين والرأس، قبلت كل ما تفضلت به يا مولاي.

(انتهاء القسم الحادي والعشرين)



كان هنالك رجل من محبي الإمام الرضا عليه السلام اسمه حسن الوشاء.



لما رأى الإمام أمام ناظريه قال في نفسه:
هذا هو الوقت المناسب، سعيت دومًا من أجل هذه اللحظة. جلس الإمام بجنب إناء الماء. خطط حسن لما يريد أن يفعله أولًا، ثم اقترب منه. كان الإمام يريد أن يتوضأ. ذهب إلى الإمام من فوره. ألقى السلام عليه وأخذ إناء الماء. (تصفح)





رد الإمام عليه السلام سلامه بلطف، وأخذ يراقبه ماذا يفعل.

- مد يديك، سأساعدك على الوضوء.

نظر الإمام إليه باحترام، وأخذ إناء الماء منه بمودة. اندهش حسن!

- لا تفعل ذلك يا حسن. جفل حسن وتملكته الحيرة.

- لماذا تمنعني من سكب الماء؟ ألا تريد أن ينالني ثوابًا؟

- قال الإمام له بجد: ينالك الثواب وينالني الذنب؟

- ذنب! الإمام والذنب! كيف؟

يا بن رسول الله كيف ستكسب من جراء هذا العمل ذنبًا، وضح لي لو تكرمت.

نظر الإمام عليه السلام إليه باحترام، وكان حسن ينظر إلى الإمام عليه السلام منتظرًا كلامه بلهفة الزهر المشتاق إلى هطول المطر.



قال له الإمام عليه السلام: ألم تسمع قول الله:

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا)؟

و أنا سأتوضأ حتى أقيم الصلاة وهي عبادة ولا أريد أن أشرك بعبادة الله أحدًا!

تبسم حسن وأسرع نحو الإمام ليقبّل يده.

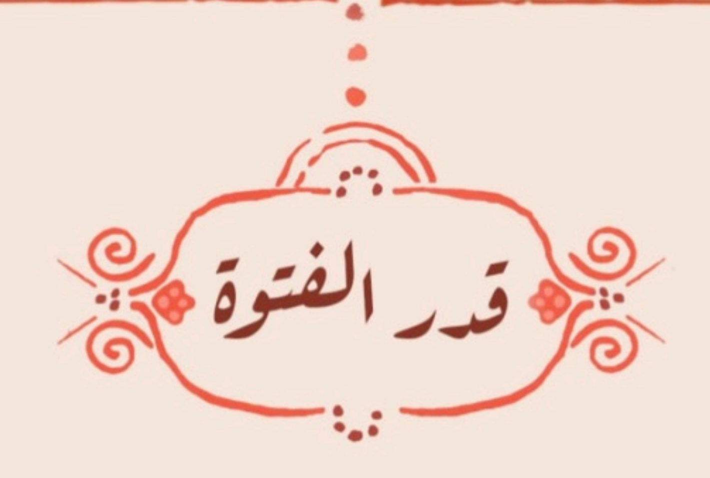
(انتهاء القسم الثاني والعشرين)



وقف الرجل، حدّق إلى الإمام بإمعان، وخطى خطوة نحوه، ثم دقق النظر في وجهه، ومشى نحو الإمام عدة خطوات ليمعن النظر أكثر. نعم إنه الإمام عليه السلام، برقت عيناه لرؤيته.أحس بقشعريرة في جلده، كأن الدماء تجري في عروقه لأول مرة، لقد آن الأوان، يجب أن ينفذ خطته التي كان يفكر فيها دائماً. كان الإمام وحيدًا، مشى نحو الغلام الذي كان برفقته بهدوء.



(تصفح)



هرول الرجل حتى اقترب منهما، وما إن رأى الناس الإمام حتى أقبلوا للسلام عليه والتبرك برؤيته، وكان الإمام يرد عليهم السلام بلطف ولباقة منقطعة النظير، ويسألهم عن أحوالهم و أوضاعهم ثم يتابع مسيره.

كان الرجل يتعقب الإمام كظله، يبتعد تارة ويقترب منه أخرى حتى لا يشك أحد به. كان يسعى إلى الاختلاء بالإمام، وكان الشوق يملأ قلبه، ولما وصل إلى قربه قال: السلام عليك يا بن رسول الله.

توقف الإمام ورد السلام بأفضل منه. اقترب غلام الإمام منه، فقد كان يتمتم بكلام غير مفهوم، وكانت أصابع يده ترتعش بشدة.

و بكل جرأة تقدم نحو الإمام وقال: يا بن رسول الله! أعطني مالًا بقدر فتوتك. تبسم الإمام، ولصفت أسنانه كصف من اللؤلؤ.



كان الرجل متحمسًا جدًا، وكان يعلم أن غمه سينكشف. ولكن الإمام قال: لا أستطيع ذلك.

خاب أمل الرجل، وكأن أحدًا ما قد سكب ماءًا باردًا عليه! ما الذي أسمعه؟ ما علي أن أفعله؟ غرق في لجّة من التفكير، فإذا بفكرة قد خطرت في باله.

....

- فأعطني بقدر فتوتي!

تبسم الإمام وقال: حسنًا.

أشار الإمام إلى غلامه، وانشرح قلب الرجل.

كم أنا سعيد الحظ، سيساعدني الإمام الآن، سأحقق كل ما أتمناه!

- أعطه مئتي دينار.



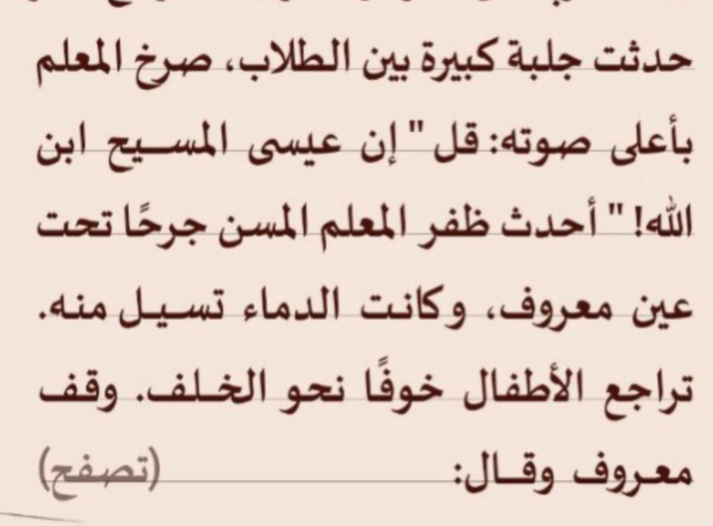


ذهل الغلام لما سمع ذلك، وكرر بصوت منخفض: مئتي دينار؟
زادت حيرة الرجل وقال في نفسه: مئتي قطعة ذهبية! يا له من مبلغ عظيم!
تبسم له الإمام مؤكدًا ذلك. قال الغلام للرجل: تعال معي. ذهب الرجل معه وكان غارقًا بالسعادة. فقد تغير حاله بين ليلة وضحاها.

(انتهاء القسم الثالث والعشرين)

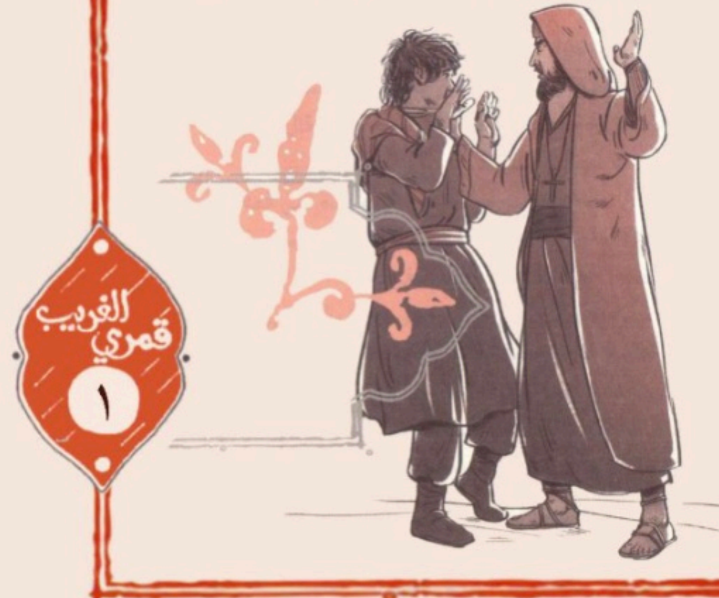


تجهم وجه المعلم وعضّ بأسنانه على شفتيه الغليظتين. تقدم إلى الأمام و وجّه ضربًا على عارض معروف. تأرجح معروف نحو الخلف وسقط بين الطلبة.



حدثت جلبة كبيرة بين الطلاب، صرخ المعلم بأعلى صوته: قل " إن عيسى المسيح ابن الله! " أحدث ظفر المعلم المسن جرحًا تحت عين معروف، وكانت الدماء تسيل منه. تراجع الأطفال خوفًا نحو الخلف. وقف معروف وقال:

(تصفح)





- الله أحد، فرد صمد، وليس له شريك وولد.

تقدم المعلم المسن نحوه ومسكه من جيبه وضربه بيده على فمه ورقبته.

صرخ معروف: لم تضرب؟ لن أقول!

واستطاع أن يلفت من بين يديه بصعوبة، وقد تمزق قميصه من جراء ذلك وفرّ هاربًا. هرب من الصف مسرعًا نحو بئر الحي الكبير، غسل وجهه بالماء، و اتكأ على الحائط يلتقط أنفاسه. كان الإحساس بالكراهية والظلم يملأ قلبه، لم يستطع أن ينطق ببنت شفة. شعر أن بدنه حار جدًا وأن وجهه يحترق. قال في نفسه: هذا هو وقت الذهاب إلى منزله.

وأسرع لا يلوي على شيء نحو منزله، فوجده في الطريق.

- نعم، هذا هو الإمام الرضا عليه السلام.



بكى حتى وصل إليه، ارتمى في أحضانه وبكى، مسح الإمام على رأسه.

قال معروف: أريد أن أكون مسلمًا! مللت من دين آبائي.

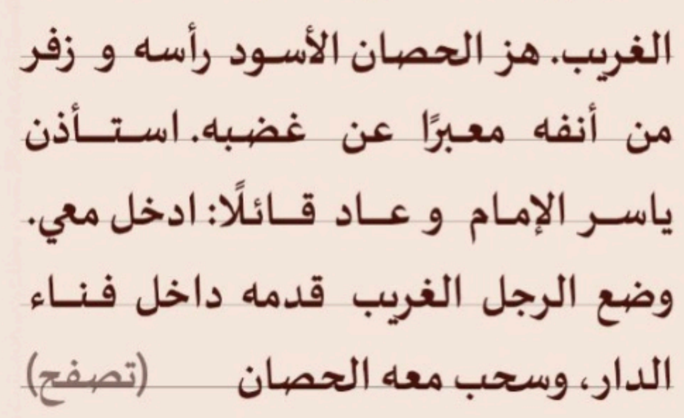
أسرّ إليه الإمام حديثًا. أخذ يتمتم معروف. مسح الإمام عليه السلام جراحه.

(انتهاء القسم الرابع والعشرين)



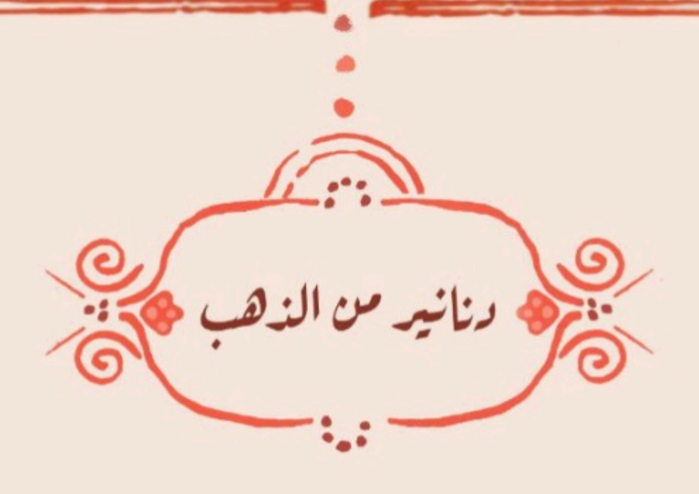
جاء في الأيام الأخيرة رجل غريب وطرق الباب. فتح ياسر غلام الإمام الباب بسرعة. قال له الرجل الغريب: لقد جئت لزيارة مولاي. وأراد أن يدخل إلى الدار. ظهر الانزعاج على ملامح ياسر واستوقفه بقوله: تحلّ بالصبر قليلًا. تراجع الرجل الغريب. هز الحصان الأسود رأسه و زفر من أنفه معبرًا عن غضبه. استأذن ياسر الإمام و عاد قائلًا: ادخل معي. وضع الرجل الغريب قدمه داخل فناء الدار، وسحب معه الحصان

(تصفح)









دنانير من الذهب

وجال بنظره في أرجائه. كانت جدران المنزل من الطين، و الغرف قديمة وصغيرة، وكان الرواق طويلًا. تأثر الرجل بما رأى. خرج الإمام إلى فناء الدار، و تفقد الرجل وسأله عن أحواله. ثم توجه الرجل الغريب نحو سرج الحصان و أراد أن يخرج شيئًا، و قال لياسر: تعال ساعدني. أخرج الرجل منه عدة أكياس ثقيلة، وبدا من الصوت الذي أصدرته أن بداخلها دنانير من الذهب. قال الرجل الغريب: هذه الدنانير أحضرتها من أجل مساعدتك. و أعطى أحدها لياسر. كانت مليئة بالدنانير و الدراهم.

- لقد أحضرتها لكم.

فهم ياسر مقصد الإمام دون كلام، و ترك الأكياس. تعجب الرجل من ذلك التصرف، وعلت وجهه علامات الخيبة، فأرجع الأكياس داخل سرج الحصان.



تعجب الرجل الغريب من ذلك التصرف، وبانت عليه الخيبة، ووضع أكياس الذهب داخل سرج الحصان. اندهش الرجل الغريب. ما الذي رآه! أما ياسركان تركيزه فقط على تنفيذ أوامر الإمام، ولم يكن له هذا الأمر عجيبًا! كانت قطع كبيرة من الذهب تتساقط من بين يدي الإمام في الوعاء.

....

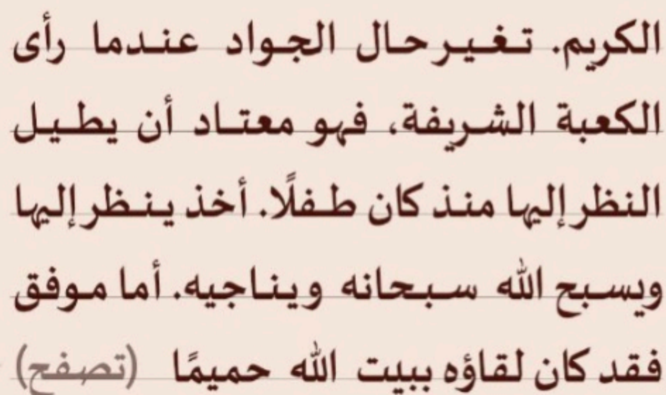
كان العرق يتصبب من وجه الرجل الغريب و هو يرى ذلك! نظر إليه الإمام بلطف وقال: إن الذي لديه هذا، لن يهتم بما أحضرت؛ فأرح نفسك.

انقطع صوت تساقط القطع الذهبية، وقف الإمام حتى يقوم بواجب الضيافة نحو الرجل الغريب. تفقد الرجل ما في الوعاء مرة ثانية، ولكن لم يجد شيئًا!

(انتهاء القسم الخامس والعشرين)



كان بيت الله خاليًا إلا من بعض الحجاج، كانوا منتشرين حول الكعبة الشريفة، ولم يكن هناك أحد آخر يطوف حول الكعبة. اقترب الإمام الرضا عليه السلام من الكعبة مع غلامه موفق و ابنه الجواد، وكان التعب والإرهاق جليًا على وجهه الكريم. تغير حال الجواد عندما رأى الكعبة الشريفة، فهو معتاد أن يطيل النظر إليها منذ كان طفلًا. أخذ ينظر إليها ويسبح الله سبحانه ويناجيه. أما موفق فقد كان لقاؤه ببيت الله حميمًا



(تصفح)





اللقاء الأخير

وكانت دموعه تنهمر بلا انقطاع على خديه.

جلس موفق أمام الحجر الأسود، وكانت أنظاره مشدودة به، وهو مشغول بالتوسل بالله تعالى. بينما كان مشغولًا بذكر الله، نظر نظرة خاطفة إلى الإمام عليه السلام، وبعد ذلك أخذ يحدّق في الجواد ومن ثم أزاح نظره عنه، وقد كانت علائم الحيرة مرتسمة على وجهه، فكأن الأب والابن لا يطاوعاهما قلباهما على مفارقة الكعبة. وقال لنفسه: أتمنى ألا يكون هذا آخر لقاء للإمام عليه السلام للكعبة، وألا يطول سفره إلى خراسان.

آلمه قلبه من تلك الأفكار. وضع يده على جبينه وكان ساخنًا جدًا. ثم وقف وقبّل الحجر الأسود. كان الإمام يصلي أمام مقام إبراهيم. اقترب موفق نحو الجواد ونظر إلى وجهه النيّر، كانت عيناه الشريفتان مغرورقتين بالدموع.



كانت شفتاه الكريمتان لا تنقطعان عن التسبيح والابتهال إلى الله عز ذكره.

اقترب موفق منه أكثر، وقال له بصوت منخفض: فدتك نفسي. هيا بنا حتى لا نتأخر. أجابه الجواد بصوت يملأه الحزن: لن أتحرك حتى يشاء الله.

تضاعف قلق موفق، وذهب نحو الإمام عليه السلام و قال: فداك روحي يا مولاي، إن الجواد جالس قرب الحجر الأسود ويرفض الذهاب.

نظر الإمام عليه السلام إليه بلطف، وختم دعاءه وذهب نحو الجواد، و جلس قربه وقال له: يا بني هيا بنا.

أجابه الجواد باحترام: لا أريد أن أذهب من هنا يا أبي.

كرر الإمام عليه السلام طلبه مرة أخرى ولكن بلطف أكثر.

- من الأفضل أن نتحرك يا بني.



ازداد حزن الجواد.

-كيف أذهب يا أبي؟ وأنا رأيتك تودع الكعبة الشريفة كأن لن يكون لك لقاء آخر معها بعد اليوم.

لم يطق الإمام تحمل تلك الكلمات، وضاق صدره عليه من الغم و الحزن. ما الذي عليه أن يقوله؟

مسك يد الجواد بعطف وحنان و قال له: انهض يا بني، هيا بنا يا ولدي.

نهض الجواد وأخفى وجهه في حضن أبيه، لكن نظره كان يراقب السماء، ولم يستطع موفق أن يمنع دموعه من الهطلان وهم يهمّون بالخروج من الحرم المكي، المسجد الحرام.

كان هناك رجل كثير السؤال يدعى إبراهيم من أهالي الحجاز.



كان هذا الرجل لايقبل أية عقيدة، ولايتبع أي شخص مهما يكن. قال له صديقه الذي كان معه: إنه الرضا، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله.

انطلق الرجل من فوره نحوه، وبحماس ممزوج باليأس قال له: يا بن رسول الله، طريقي الذي أسلكه غير قويم، أرشدني إلى الطريق القويم. توقف الإمام عليه السلام و نظر إليه نظرة ملؤها اللطف و الحنان أعادت له الحياة من جديد، وكان بجانب الإمام أيضًا كل من موفق والجواد.

....

ثم قال: قال والدي عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزوجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان. يا بن أبي محمود إذا أخذ النـاس

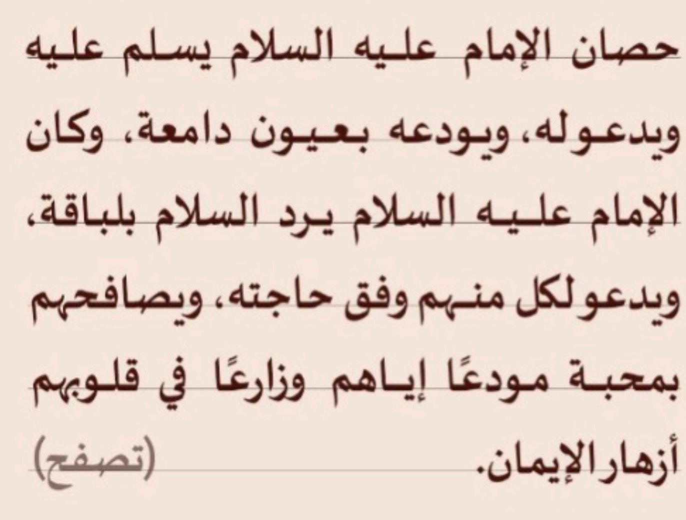


يمينًا وشمالًا فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، و من فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة، ثم يدين بذلك و يبرأ ممن خالفه. يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به، فقد جمعت لك فيه خير الدنيا و الآخرة.» أحس إبراهيم أن تلك الكلمات منحته حياة جديدة، و أن نور الهداية قد أشرق على قلبه. ف أ قبل على الإمام عليه السلام يريد تقبيل قدمه، لكن الإمام لم يدعه يفعل ذلك. رفع إبراهيم يديه إلى السماء شاكرًا الله، وذهب يعدو نحو رفيقه.

(انتهاء القسم السادس والعشرين)



سارت القافلة بأمر من الرجاء، وتبعهم جموع غفيرة من الناس امتلأت الأزقة بالغبار، وتعالت صيحات النحيب والبكاء من الناس. كان كل من يقترب من حصان الإمام عليه السلام يسلم عليه ويدعو له، ويودعه بعيون دامعة، وكان الإمام عليه السلام يرد السلام بلباقة، ويدعو لكل منهم وفق حاجته، ويصافحهم بمحبة مودعًا إياهم وزارعًا في قلوبهم أزهار الإيمان.





(تصفح)



كان أول مقصد القافلة هو مدينة البصرة من بلاد العراق. وكان القلق يساور نفس الرجاء بن الضحاك من كثرة الناس المتجمعة حول الإمام عليه السلام، وكان دائم الحذر ويصدر الأوامر لرجاله باستمرار. ورجاله يبعدون الناس بعنف عن القافلة، وكانت أيدي الناس ترتفع نحو السماء، وشفاههم لا تهدأ وهي تودع الإمام عليه السلام وتهلل الله سبحانه.

تجمع الناس خارج سور المدينة حتى يودعوا الإمام الرضا عليه السلام، وبقي الجواد وموفق مع أهل بيت الإمام عليه السلام وقد منع البكاء الإمام من متابعة كلامه أثناء وداعهم. مع ابتعاد القافلة وتوغّلها في عمق الصحراء القاحلة، بدأت جموع الناس تصغر شيئًا فشيئًا حتى غابت عن النظر. تنفس الرجاء الصعداء، وقاد حصانه إلى أول منزل يجده حتى يرتاح قليلًا.



حاول الرجاء أن يكلم الإمام عليه السلام جاهدًا لكنه لم يستطع، فقد كان الإمام عليه السلام لا يلتفت إليه ودائم الذكر والدعاء لله سبحانه، وهذا ماقد جعل الرجاء حاد المزاج وعصبي الحال، يقود حصانه بهمجية ويتمتم دومًا. فقد كان الرجاء يظن أن الإمام عليه السلام يعتقد أنه السبب في كل شيء حدث له، من الهجرة القسرية والفراق العسير إلى مفارقة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(انتهاء القسم السابع والعشرين)



مضت عدة ساعات، وكان رجاء بن الضحاك يستعجلهم من أجل الرحيل، وكان يتبختر بين رجاله وينظر إلى الإمام عليه السلام، فقال له: «أنت في أمن ومأمن، فلا تذعر ولا تخف! نحن سنقلّك حتى تصل سالمًا غانمًا إلى مرو.» كأن ذكرى استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام وحزنه يتجدد في بيت الإمام عليه السلام. غادر الرجاء والحيرة تملأ فكره من ذلك، و انطلق بحصانه نحو دار الإمارة.

(تصفح)







الرحيل العسير

كانت النساء تنتحب، وصرخات الأطفال تملأ البيت، وأما الجواد فقد جلس عند أبيه محزونًا. قال الإمام الرضا عليه السلام: «ابكوا عليّ حتى أسمع، فإنني لا أرجع من هذا السفر أبدًا.»

اعتلت صرخات الحزن. وضع بين أهل بيته أكياسًا من النقود، فيها اثنا عشر ألف دينار، وقال لهم بصوت ملؤه الحزن: «اعلموا أني لا أرجع إليكم أبدًا.» ارتفعت أصوات النحيب عاليًا. أخذ الإمام عليه السلام يطيّب خواطرهم، ثم وقف وأخذ بيد الجواد وانطلقا نحو مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وتبعهم رجال الأمير وخلفهم جمع من الناس. دخل الإمام الرضا عليه السلام والجواد المسجد، وكان الحزن يملأ قلبيهما، وقد بلغت القلوب الحناجر. ما إن رأيا مقام النبي صلى الله عليه وآله حتى أسرعا نحوه.



وضع الإمام عليه السلام يد الجواد على قبر الرسول صلى الله عليه وآله وقال: «يا رسول الله! لقد استودعتك ولدي!» و ابتعد الاثنان عن الحرم والدموع تملأ عيونهم، وتبعهم الناس وحاشية الأمير. و بعد عدة ساعات جاء نواب الإمام وأصحابه إلى بيت الإمام عليه السلام ملبين دعوته.

وعرّفهم الإمام عليه السلام بالجواد، و وعظهم وأمرهم بأتباعه وعدم عصيانه.

وقف بعد ذلك وأخذ البيعة للجواد منهم فردًا فردًا.

بايع كل الحاضرين الجواد الذي كان الغمّ يعتلي صدره الكريم.

جاء موعد الرحيل، وكان رحيل النور عسيرًا على كل أقرباء و أتباع الإمام الرضا عليه السلام.

(انتهاء القسم الثامن والعشرين)



أعطت المرأة كوب الماء لابن علوان الذي شربه دفعة واحدة، ثم أخذ منشفة نظيفة ومسح بها وجهه المتعرق. سألت المرأة: ما الذي رأيته وجعلك منزعجًا؟نظر ابن علوان نحو سقف الغرفة وقال: لا، ليس هناك شيء، إلا أن تكون رؤية صادقة!

- قل ماذا رأيت أيها رجل؟

- قال ابن علوان: جاءني خبر في الحلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد جاء إلى مدينتنا البصرة.



(تصفح)



وسألت الناس أين ذهب؟ فأجابوني: إنه في بستان بني فلان، ذهبت إلى هناك من فوري، و رأيت النبي صلى الله عليه وآله مع جمع من أصحابه كانوا قد جلسوا هناك. ملأ الحب والطمأنينة قلبي، وألقيت السلام عليهم، وجثوت أمام حضرته. كان أمامه طبق من التمر، واشتهت نفسي أن آكل منه، وأخذ حضرته بيده قبضة من التمر و قدمها إلي، و بسرعة أحصيت عددها، كانت ثماني عشرة حبة من التمر، وعندما أنهيت ذلك استيقظت من النوم. قالت المرأة بتفاؤل وسعادة: علّه خبر جيد ستسمعه، أو أن الله سيبارك لنا بمالنا وحياتنا. وقف ابن علوان وتوضأ و أقام الصلاة. كان الفجر قد بدأ يبزغ، هيأ نفسه وخرج مسرعًا نحو بستان في أحد مناطق البصرة. وما أن وصل قريبًا منه حتى أخذ يدقق بنظره إلى داخله، وكان لم يرَ ذلك البستان من قبل، ولكن البستان هو كما رآه في الحلم.



انتابه عندها إحساس غريب. بعد عدة أيام جاء صديقه زهير دوان إلى بيته، وناداه باستغراب: ابن علوان. قال له: ما الذي حدث؟ ما بك تلهث؟

أجابه زهير: جاء الإمام الرضا عليه السلام إلى البصرة.

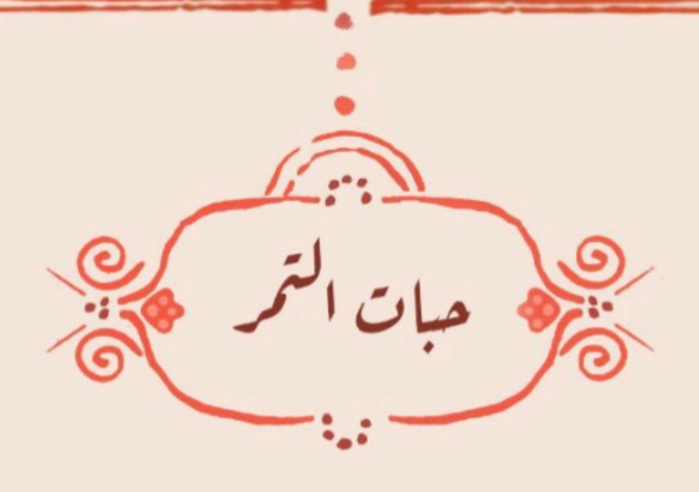
- الإمام الرضا عليه السلام؟!

- نعم ذهب كثير من الناس لرؤيته في بستان بني فلان.

- بستان بني فلان؟

لم يتحمل قلب ابن علوان الانتظار، وبرفقة زهير ذهب نحو المنطقة التي يقع فيها البستان.

وعند وصولهما كان الناس قد احتشدوا هناك. شقّ ابن علوان طريقه بين الناس وتقدم نحو البستان.



كان وجه الإمام عليه السلام يشع نورًا كالقمر في ليلة تمامه. عمّ السرور قلب ابن علوان. لقد شاهد شيئًا عجيبًا! كان أمام الإمام عليه السلام طبق من التمر. تذكر ابن علوان الحلم الذي رآه منذ عدة أيام مضت. اضطرب حاله وبصعوبة استطاع أن يمرمن بين الناس المتجمهرة هناك، وجلس أمام الإمام عليه السلام. وكان الإمام عليه السلام يكلم الناس، وعندما وقع نظره عليه السلام عليه، أخذ بيده قبضة من التمر وقال له: تفضل هي لك أنت.

تفاجأ ابن علوان أول الأمر، ثم تلفت حوله، ونظر إلى الناس من حوله، ثم مد يده وأخذ التمر، وكان الناس من حوله يتمتمون.

-قال له ابن علوان بلهفة: يا ابن رسول الله! أعطني أكثر، إنها تساوي عندي الكثير.

-تبسم الإمام وقال له: إن كان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أعطاك



أكثر فأنا سأعطيك مثله أيضًا. ذهل ابن علوان لسماع ذلك! وشرع بعد التمرات، كانت ثماني عشرة تمرة لا تزيد ولا تنقص!

فاضت عيناه بالدمع، وكان زهير يراقبه بتعجب!

- ما الذي حدث يا بن علوان؟

لم يستطع ابن علوان أن ينبس ببنت شفة، وأومأ برأسه له بما معناه: اصبر سأخبرك لاحقًا.

(انتهاء القسم التاسع والعشرون)



كان التعب والغم يبدو على الإمام عليه السلام، ردّ السلام على خدمه ومشى نحو البئر. كان الغبار واضحًا جليًا على لباسه وعلى شعره، وكان بدنه متعرقًا، وقطرات العرق قد تجمعت حول رقبته، وكانت الحمى تلفح صدره، والعرق يتصبب منه بشدة، وكان وجهه شاحبًا على غير عادته.

ذهب خادمه ياسر نحوه مسرعًا ليساعده، وألقى الدلو داخل البئر، وأخذ بسحب الحبل المربوط به ليخرج الماء من البئر، فجأة رفع الإمام عليه السلام

(تصفح)





يديه نحو السماء وقال: يا إلهي إذا كان موتي هو ما سيريحني من هذه المحنة، فاجعله في هذه اللحظة.

شعر ياسر بالأسى. كان وجه الإمام عليه السلام كاسفًا للغاية، وكان يتنفس بصعوبة، كما لو أن هناك جبلًا يجثم على صدره الشريف. كانت تلك الأيام القليلة التي أمضاها في مرو كافية لتجعله كئيبًا.

(انتهاء القسم الثلاثين)



مرض الإمام الرضا عليه السلام حينما كان في الأهواز، ولازم الفراش، فخاف عليه وجهاء المدينة. وازداد قلق واضطراب الرجاء، فالمهمة التي أوكله بها الخليفة أصبحت مهددة بالفشل وعليه أن يقوم بعمل ما. يجب أن يصل أبو الحسن سالمًا ومكرمًا إلى مرو. حضر طبيب مخضرم بناء على طلب الرجاء، وقام ذلك الطبيب بفحص الإمام عليه السلام



(تصفح)



وسأله عن مرضه، ومد يده إلى جعبته، وأراد أن يخرج دواءًا منها، فقال الإمام: «أحضر لي قصب السكر.» بانت الحيرة على وجه الطبيب، وعاد القلق يهمين على الرجاء، وقال في نفسه: «من أين سأحضر ذلك الآن؟»

وقال الطبيب بلهجة تهكّمية: لم يحن فصل قصب السكر بعد! إنه فصل الصيف، ولن نجد قصب السكر في أي مكان!

....

قال الرجل ذو اللحية الغبراء، والذي كان يجلس بعيدًا عنهم وهو يبتسم: إن هؤلاء القوم من الأعراب، ولا يعرفون أن القصب لا يتواجد في الصيف!

- أجاب الإمام عليه السلام وهو منهك القوى: «ابحثوا عنه فستجدوه.»

تبسم الطبيب ابتسامة ساخرة ونظر نحو رجاء، وخرج رجلان من رجال رجاء



بعد أن أومأ إليهما بذلك.

- من المستحيل أن نجده.

أغمض الإمام أجفانه. وارتسمت علامات القلق على وجوه الرجال الذين كانوا في الغرفة وهم ينظرون إلى وجه الإمام عليه السلام الشاحب اللون.

مضت عدة ساعات. عاد بعدها الرجلان اللذان بعثهما الرجاء وهما فرحين وبيدهما كيس صغير، فأعطياه للرجاء.

- وجدناه.

- أين وجدتماه؟

قال أحدهما: بحثنا كثيرًا حتى وقعنا على إسحاق بن محمد، وتابع الرجل الآخر: وعندما أخبرنا أحد عماله بحاجتنا إليه قال لنا تعالا معي.



ذهبنا معه، كان هناك مخزن بعيد جدًا.

كان لديهم مقدار من قصب السكر، كانوا قد خبئوه ليزرعوه في الموسم القادم، فأعطونا قسمًا منه.

-ها هو داخل الكيس.

شعر الطبيب والرجال الذين كانوا في الغرفة بالإحراج.

سأل الطبيب الرجال الذين كانوا معه: ابن من هذا الرجل يا ترى؟

قالوا له: هو سبط الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه ليس نبيًا، بل وصي النبي صلى الله عليه وآله. تغير حال الطبيب، وقام بتقطيع قصب السكر إلى قطع صغيرة بسرور. لم يكن الرجاء بالغرفة، ذهب أحد رجاله نحوه بسرعة وأخبره بتفاصيل ما حدث. عاد الرجاء مسرعًا وصرخ قائلًا: علينا أن نخرج من الأهواز من فورنا، لم نكد نبعد



عن المدينة حتى قام ابن موسى بمعجزة هنا، وقريبًا سيأتي الناس من كل حدب وصوب إليه.

قال الطبيب له: ولكنه الآن مريض، لا نستطيع ذلك.

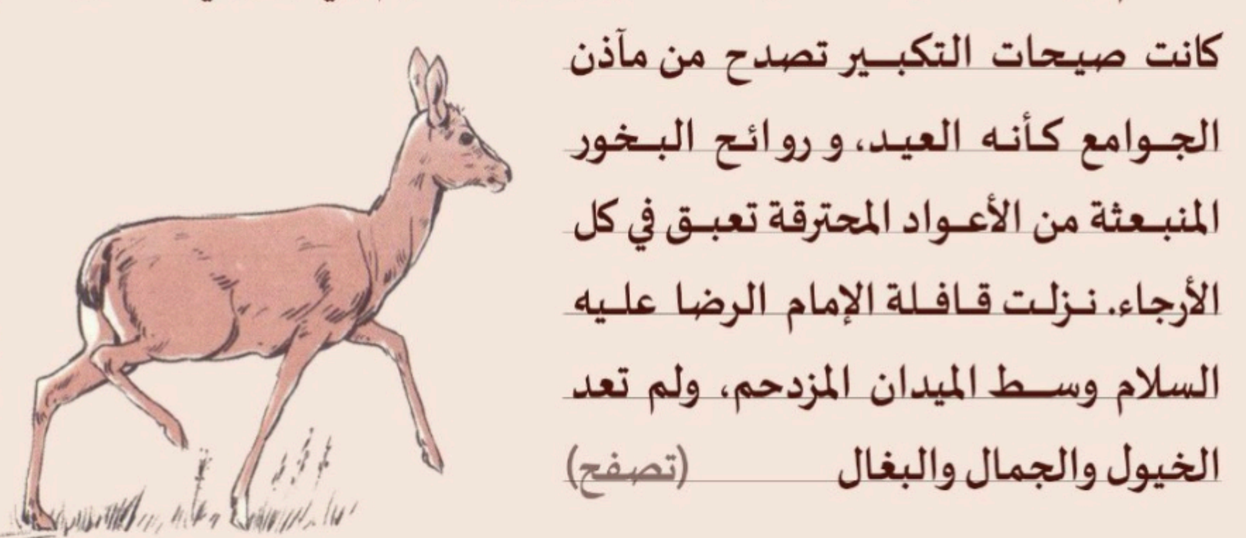
التفت الرجاء نحوه وقال بلهجة قاسية: بلى نستطيع، بسرعة هيا! انقلوه من مكانه قبل أن يأتي الناس ويُقطع طريقنا.

ذهبوا نحو الإمام عليه السلام، وحملوه من فراشه، واستعدت القافلة للرحيل.

(انتهاء القسم الحادي و الثلاثين)



كان التجمع الأكبر للناس في مدينة نيسابور، فقد أتوا بالآلاف لزيارة الإمام عليه السلام. وكانت صفوف الناس تملأ الطرق والأزقة، كلهم يريدون رؤية القمر الطالع.



كانت صيحات التكبير تصدح من مآذن الجوامع كأنه العيد، و روائح البخور المنبعثة من الأعواد المحترقة تعبق في كل الأرجاء. نزلت قافلة الإمام الرضا عليه السلام وسط الميدان المزدحم، ولم تعد الخيول والجمال والبغال

(تصفح)



قادرة على السير. تاه الرجاء و رجاله بين جموع الناس، و كان حاكم المدينة و رجاله أيضًا مشتتين في الطرق المؤدية إلى الميدان الرئيس دون أي تنظيم أو تركيز. كانت نيسابور من أكبر المدن الإيرانية آنذاك، وكان فيها سوق ذو طابع معماري مميز، وهو من اكبر الأسواق الموجودة وكانت مساجدها فخمة وتعج بالناس والحياة دومًا.

بكان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي من أشهر علماء العامة و رواة الحديث فيها، وكانا قد توجها برفقة طلابهما نحو الهودج الذي يحمل الإمام عليه السلام، واستطاع الحاكم ورجاله تهدئة الناس بصعوبة. اجتمع حول الإمام أصحاب الحديث، فتقدم كل من أبي زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي نحو الإمام عليه السلام ونادیا بأعلى صوتهما:





- يا بن رسول الله! اخرج إلينا!

- نقسم عليك بآبائك الطاهرين أن تطل علينا وتتكلم معنا.

- يا بن رسول الله! ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟

....

أزيح ستار الهودج وأطل الإمام عليه السلام برأسه الشريف على الناس، فازدحموا واشرأبت نحوه الأعناق، كل يريد مشاهدة الإمام عليه السلام، وتعالت صيحات التكبير من حناجرهم. كان الوقت ضحى. تعالت أصوات الحشود وصرخات النساء، كلهم مدوا أياديهم للسلام على الإمام عليه السلام، وكانوا يتهافتون على هودج الإمام علي ويحاولون تقبيله. نظر الإمام إلى الجموع بلطف ومحبة ورحب بهم. تأثرت جموع النـاس بهذا اللقاء، فمنهم من ألقى نفسه على الأرض، وبعضهم لم يحتمل أن يرى



وجهه الكريم، فأخذ يمسح وجهه بالتراب.

واستطاع أتباع الحاكم والعلماء أن يهدئوا جموع الناس.

- انصتوا أيها الناس! انصتوا!

- يا أيها الناس اسكتوا حتى تتمكنوا من سماع كلام الإمام عليه السلام.

كانت صيحات المنادين قد تعالت في الميدان والطرق المؤدية إليه وعمت أرجاء المكان.

قال الإمام عليه السلام بصوت مسموع: «سمعت أبي موسى بن جعفريقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب: سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جل جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي.»



كان الناس كلهم آذانًا صاغية له، كرر المنادون بصوت عال كلام الإمام عليه السلام حتى تسمع الأطراف البعيدة ما قاله.

تقدمت ناقة الإمام عليه السلام قليلًا، وقبل أن يتكلم الناس المجتمعون تابع الإمام عليه السلام كلامه قائلًا: «بشروطها، و أنا من شروطها.» أسدل ستار العمارية، وكان هناك أكثرمن عشـــرين ألف مدون يدونون خطاب الإمام عليه السلام في دفاترهم. كان مشهدا مثيرًا لا يتكرر، وكان علماء أهل العامة كلهم متحمسين لكلامه، والناس تذرف الدموع من شدة تأثرها، وقد أحيا هذا اليوم في نفوسهم يوم بيعة الغدير بعظمته وجلالته. ارتفعت صيحات الحشود المتجمعة حول ركب الإمام عليه السلام، وتقدمت الناقة قدمًا. بعد عدة أيام أخرى ذهب الإمام عليه السلام إلى منطقة يطلق عليها "فوزا" وأمرهم أن يبنوا حمامًا في ذلك المكان للناس.





ثم ساعد العمال على تنظيف نبع الماء الكبير، وأمر الناس أن يبنوا في أسفله حوضًا حتى تتجمع المياه فيه، وخلف ذلك الحوض هيأ مكانًا لإقامة الصلاة، فكان يتوضأ من الحوض، ثم يقيم صلاته خلفه، و اقتدت به الناس، وأصبحت سنة من بعده، وأصبحت الناس تتبرك بمياه ذلك النبع.

في إحدى المرات بينما كان الإمام عليه السلام مشغولًا في الصلاة والناس مجتمعة من حوله، فجأة اقترب غزال منهم! صرخ أحدهم: «انظروا هنالك غزال.» قال بعضهم: «اصمت.» وقف ثلاثة من الجمع وذهبوا نحو الغزال، صرخ بهم رجل مسن: «لا تؤذوا الحيوان البريء قد يكون عطشًا.» صرخ رجل نحات قائلًا: «كم سيكون شهيًا لحمه إذا ما ضحينا به قرب هذا النبع المبارك!» و افقه بعض الناس وخالفه أكثرهم! وقع نظر الإمام عليه السلام نحو الغزال، تقدم الغزال وبإشارة من أحد الأشراف الحاضرين



تراجع بقية الناس. وصل الغزال إلى قرب حوض الماء، نظر نحو الإمام عليه السلام وأخذ يصدر صوتًا كئيبًا من فمه.

وقف الإمام عليه السلام وهو قلق، مد الغزال رأسه نحوه، وأخذ الإمام عليه السلام يهدئه.

سقطت من طرف عين الغزال دمعة كبيرة. تعجب الناس الحاضرون، وأخذوا يتناجون فيما بينهم.

- ترى ماذا يريد هذا الغزال؟

- هل يفهم كلامه الإمام عليه السلام؟

- ما الذي قال الإمام عليه السلام؟

- أهو يعلم لغة الحيوانات؟ وا عجباه!





فجاة جاء رجل مسرعًا وصرخ و هو يلهث: «اتركه!» نظر الجميع نحوه، كان الصياد الشاب يحمل على ظهره قوسًا كبيرًا، تقدم ليمسك بالغزال. جفل الغزال واختبأ خلف الإمام عليه السلام. ذهب رجل نحو الصياد وقال له بصوت منخفض: «تراجع يا رجل! هذا إمام الشيعة، اخجل على نفسك!» نظر الصياد نحو الإمام عليه السلام، هيبة الإمام جعلته يتوقف، ولم يتجرأ على التقدم نحو الغزال مرة أخرى. نظر إلى الغزال، كان الغزال يبكي. أثرذلك في نفس الصياد كثيرًا. تقدم نحوه رجل مسن وقال له: «إنه كان يشكيك إلى الإمام عليه السلام.» ازداد خوف الصياد وتراجع. عاد الإمام لتهدئة الغزال من جديد وكأنه يتحدث معه، لأنه سلك طريقًا آخر و ابتعد عن مكانه. جلس الصياد على ركبتيه وطأطأ رأسه نحو الأرض. تعجب الناس من ذلك المنظر!

(انتهاء القسم الثاني والثلاثين)



قالت بسنده بأني رأيت في الحلم أن رجلًا كبيرًا سيأتي في القريب العاجل! سألت أم طاهر وكانت طرشاء: من سيأتي؟ قالت بسنده: رجل عظيم يشعّ وجهه نورًا. بانت الدهشة على ملامح أم طاهر، وتقدمت نحوها وسألت: إلى هنا؟ إلى حيّنا؟ أجابت بسنده بسرور وهدوء: في القريب العاجل، نعم إلى هنا. ثم كررت بصوت مرتفع: في الرؤيا رأيت ذلك. ثم وقفت ومشت نحو الباب. لا تريد أن تخبر ما اسم ذلك (تصفح)





الرجل الكبير، إنه الإمام الرضا عليه السلام.

اشرأبت إلى داخل الزقاق وتفقدته، لم يكن هناك أي خبرعنه.

عادت وجلست بجنب أم طاهر في الحديقة قرب الإيوان. كان قلبها يخفق بشدة والتوتر ظاهر عليها، ولا تستطيع أن تركز في أي عمل. كانت بسنده عجوزًا مثل أم طاهر، وكانت وحيدة أيضًا.

كانت أم طاهر – رفيقة بسنده – تسكن مع ابنها قريبًا من منزلها، تأتي إلى بيت بسنده بعض الأحيان وتؤنس وحدتها.

وقفت بسنده مرة أخرى ومشت نحو الباب. سألتها أم طاهر: إلى أين تذهبين كل مرة؟

أجابتها بسنده: لأرى هل من خبر جديد!





أجابتها بسنده بصوت أعلى: لأرى هل من خبر في الزقاق!

قالت أم طاهر وهي تحدّث نفسها: ابني طاهر قد أخبرني أن هناك في نيسابور جاءت قافلة كبيرة من الحجاز.

••••••••

لمعت عين بسنده وذهبت نحو أم طاهر وسألتها: من أين أتت؟

رفعت أم طاهر رأسها وتبسمت وقالت: من الحجاز، وقد تكون من العراق ... لست متأكدة. أصبح فكر بسنده مشتتًا من كثرة الأفكار التي تزاحمت عليه، وعاد مشهد الحلم الذي رأته في الليلة السابقة حاضرًا في مخيلتها. رجل طويل القامة، يمتطي فرسًا أبيض والناس كالسيل الجارف تتبعه ويهتفون: الإمام الرضا.

توقف أمام منزل بسنده و ترجل عن فرسه، ودعته بسنده ليدخل بيتها.



تبسم الإمام عليه السلام وقبل ذلك.

- بماذا تفكرين؟ أين ذهبت بك الأفكار؟

عاد إلى بسنده تركيزها مع مجيء جارتها صفورا إلى فناء دارها، سألتها: ماذا حدث؟ هل من خبر؟ أجابت صفورا: كلا... لكن في منطقتنا.

سألتها بسنده: ماذا في منطقتنا؟ أخبريني صفورا! هيا أخبريني ما الذي حدث في منطقتنا؟ تبسمت صفورا وساعدت بسنده وهي تمشي نحو الفناء، وجلست جنب أم طاهر ثم قالت: كم أنت عجولة يا أمي ... يقولون: إن قافلة نيسابور جاءت نحو منطقتنا . قفزت بسنده من مكانها كأنها عصفور صغير فزغ من شيء ما، تناست آلام الشيخوخة وهرم عظامها. قفزت بسنده من مكانها كأنها عصفور صغير فزغ من شيء ما، تناست آلام الشيخوخة . سألت أم طاهر صفورا: ماذا؟ ماذا قلت أنت؟



عقدت صفورا حاجبيها وقالت: لم أقل شيئًا، وأسرعت نحو بسنده.
نهضت أم طاهر بصعوبة و ذهبت معهن إلى الخارج. وقفن الثلاث يرقبن الزقاق.
قالت صفورا: لنذهب نحو السوق. أجابت بسنده: كلا.
قالت صفورا: من الممكن أن نرى القافلة هناك بشكل أفضل، قد تكون قافلة تجار قادمين من الشام. قالت لها بسنده وهي ترقب الزقاق: لن أبرح مكاني هذا.
اقتربت الأصوات من منزلها. لم تطق أم طاهر الوقوف ومشت نحو منزلها.
فجأة ظهرت الحشود من نهاية الزقاق بوضوح، و كان الناس يخرجون من منازلهم ليشاهدوا ما الذي يحدث. مسكت صفورا يد بسنده وقالت: إنه يعبر من هنا، هيا نذهب حتى نراهم. سحبت بسنده يدها وقالت: لن أتحرك من هنا. صفورا ذهبت وهي متعجبة من أمرها. تذكرت بسنده ما رأته في الحلم، وأخذت تـنـظر بعيـنـيها



إلى المنزل، وقالت: لا ... هنا! جنب الباب.

شمّت رائحة عطر طيبة أحيت فؤادها من جديد، وشعرت أنها قد عادت شابة. شيء غريب جعلها مضطربة. دخلت الحشود الزقاق، كان الناس يُكبّرون ويدعون الله، وكان أمامهم حصان يمتطيه رجل. قالت بسنده في نفسها: إنه هو! الرجل الذي رأيته في الحلم! الإمام الرضا عليه السلام. اقترب الفارس من منزل بسنده، توقف أمام الباب الخشبي للمنزل مواجهًا له. نظرت بسنده إلى الفارس الذي ألقى السلام عليها. ذهلت بسنده من هيبة الرجل لمّا رأته. كان رجلًا كله عظمة والنور يشعّ منه.

صرخ أحد الرجال: من أجل سلامة وعز الإمام الرضا عليه السلام صلوا على النبي وآله.
ذهلت بسنده لسماع ذلك: الإمام الرضا عليه السلام! ترجل الإمام عليه السلام عن حصانه وسألها عن أحوالها. احتارت بسنده ماذا يجب عليها أن تقول!



ومسكت مقبض الباب وفتحته بلهفة وقالت: تفضل إلى بيتنا أيها الإمام الكريم. تبسم الإمام عليه السلام وقال: قبلت ذلك. وقع اختيار الإمام عليه السلام على منزل بسنده، ودخل برفقة عدد من أصحابه المنزل. وكان الرجاء و الحرس قد حاصروا المنزل، وبعد ذلك حاولوا تفريق الناس المحتشدة. استطاعت صفورا بشقّ النفس أن تجد طريقًا لها بين الحشود، وفتحت الباب ودخلت الدار.

فرشت بسنده سجادة صوفية بسيطة عند حديقتها. نظر الإمام إلى الحديقة، وقال لأحد أصحابه: أحضر لي شتلة اللوز تلك.

نهض الرجل من فوره و ذهب و أخرج من خرج الحصان الشتلة التي طلبها الإمام عليه السلام. حفر الإمام عليه السلام الأرض بيديه الطهرتين وأزاح التراب عن الحفرة التي حفرها، وزرع الشتلة فيها، ثم وضع التراب عليها، وبعد أن أنهى ذلك دعا بدعاء.



كانت الدنيا لا تسع بسنده من فرحتها، وذهبت لتحضر الفاكهة واللبن والحلوى لتقدمها إلى الإمام عليه السلام وصحبه. وكانت بسنده تتحرك كأنها شابة، وكأنه ليس هناك آلام في ظهرها وقدميها تعيق حركتها.

جلس الإمام عليه السلام وصحبه على السجادة، وقد احتفت بسنده بهم.



(انتهاء القسم الثالث والثلاثين)



ما إن وصلت القافلة إلى سناباد حتى طلب رجاء من جميع رجاله أن يترجلوا. فتجمعوا فوق قبر هارون تحت قبة باهرة الجمال في دار حميد بن قحطبة الطائي.



تمتم الرجاء وهو يقرأ سورة الفاتحة، ووضع الحرس أيديهم على صدورهم وهم ملتفين حول القبر. كان قبر هارون في وسط الحديقة. تحولت الأنظار فجأة نحو ركب الإمام عليه السلام الذي ترجّل وذهب نحو القبر. كانت الأنظار مشدودة إليه (تصفح)





ودخل دون أن يقرأ الفاتحة، وأخذ بيده غصنًا كان على الأرض. تعجب الجميع! و أخذوا يترقبون ما الذي سيفعله.

تقدم رجاء نحو الإمام عليه السلام والحيرة تملأ قلبه ووقف قربه، خطّ الإمام عليه السلام على الأرض بالغصن قبرًا آخر. تعجب الحاضرون من ذلك! ذُهل رجاء، وأخذ يحدّق في الإمام عليه السلام! وقال في نفسه: ترى ما الذي سيقوله الإمام عليه السلام؟ أدار الإمام عليه السلام وجهه الشريف نحو الحاضرين وقال لهم: هذه ترتبي، وفيها أدفن.

أنزل الحاضرون أياديهم عن صدورهم وبهدوء قالوا: آه ...!

ثم قال: وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلّم علي منهم مسلّم، إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت.



ساد السكوت أرجاء المكان، ولم يكن هنالك صوت إلا صرير الرياح التي تهب فيه.

ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات، فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها، فلم يتحرك رجاء ورجاله من مكانهم وهم ينتظرونه.

اقترب عدة من الحراس من الإمام عليه السلام، وعدوا تسبيحات الإمام عليه السلام في سجدته، فكانت خمسمائة مرة.

(انتهاء القسم الرابع والثلاثين)



في العاشر من شهر جمادي الثانية لعام ٢٠١ من الهجرة، وصل ركب الإمام الرضا عليه السلام إلى بوابة مرو. كانت حشود الناس مكتظة فيها، ولم تكن تقل عن مثيلاتها من المدن السابقة. وكان حرس الخليفة موزعين بانتظام على الطرقات يراقبون كل شيء. وعلى الرغم من تعب رجاء من السفر الطويل لكنه لم يسمح للقافلة بالتوقف. شقت القافلة طريقها عبر الأمواج البشرية المتلاطمة (تصفح)



قمري الغريب
١



حتى وصلوا إلى دار الخلافة.

ابتعدت الحشود وفُتحت البو ابة، وكان الخدم والأمراء قد جاؤوا لاستقبال الإمام عليه السلام، وكان رجاء ينتظر حضور الإمام بشغف وسرور. نزل الإمام من الجمل الذي كان يستقله، وأحاط به الحرس من كل جـانـب.

فجأة ظهر المأمون و وزيره الفضل وهم ينزلون من درج جانبي القصر وخرجا من البو ابة، فتح المأمون ذراعيه وقال بفرح: حللت أهلًا ووطئت سهلًا يا بن عمي، هذا يوم عظيم لنا، هذا يوم الله الأعظم. عاملوا الإمام عليه السلام بمنتهى الاحترام، ودعاه المأمون إلى داخل قصره، لكن الإمام عليه السلام كان متعبًا من السفر ولم يقبل ذلك. دخل المأمون والمقربون منه القصر. اقترب الحاجب من الإمام ورحب به، نظر نـحو رجاء وقال: لقد اخترنا منزلًا لائقًا بأبي الحسن وهو تعب لا شك،



ويجب أن يستريح حتى يوم لقائه بالخليفة.

تغيرت ملامح رجاء وأصبح وجهه عبوسًا، وبانت عظام وجهه بوضوح، أدار رجاء ظهره بعصبية ودخل القصر وهو منزعج، قاد بعض الحرس ركب الإمام نحو أحد الأزقة، وتفرق الناس بأمر أحد القادة، ودخل الإمام عليه السلام منزله.

كانت مدينة مرو عبارة عن مدينة أشباح، تفوح منها رائحة الغربة والسجن والوحدة.

(انتهاء القسم الخامس والثلاثين)



جلس المأمون على عرشه الأبيض، وكان يقف بجانبه وزيره الفضل، وأما رجاء فقد انحنى ليشرح للخليفة تفاصيل الرحلة، وكل ما شاهده أثناء سفره من كرامات الإمام عليه السلام وهيبته ولباقته مع أهالي المدن أثناء استقبالهم له، وحدثه عن الأجواء الفريدة التي رافقت تلك الاستقبالات. وقف المأمون وقال: «يكفي ذلك!» ثم أردف قائلًا: «لنسمع إلى ما لديك من ذكريات في وقت آخر! (تصفح)





ولكن من الأفضل أن أخبر أنا الناس بفضائله، ولا أتركهم يرونها بأعينهم، أو يسمعونها من أمثالك.» أطرق رجاء رأسه نحو الأرض وسكت. ذهب المأمون و رجاء إلى غرفة أخرى، ومن شدة غضبه عض رجاء على شفته، وقال بينه وبين نفسه: «كم أصبح الخليفة دنيئًا وجبانًا وكأنه ضبع.»

(انتهاء القسم السادس والثلاثين)



بعد أن أخذ محمد بن عرفة الإذن، جلس مع صديقه قرب الإمام عليه السلام.أول ما لفت نظره وعاء صغير كان فيه قليل من التمر. تعجب من الأمر وقال بينه وبين نفسه: «ياللعجب! أليس الإمام عليه السلام ولي العـهد؟ فلـمـاذا منـزله على هذه الحال وأسـلوب حيـاته بسـيـط جدًا؟!» نـظر إلى الإمام عليه السـلام، كانت الكآبة واضحة عليه، سـأله: «يا ابن رسـول الله! ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟»



(تصفح)



نظر إليه الإمام بحزن وقال: «ما حمل جدي أمير المؤمنين على الدخول في الشورى.» سأله الرجل الذي جاء مع ابن عرفة بنبرة شديدة: «لم قبلت ذلك من المأمون؟» سأله الإمام عليه السلام: «أيها الرجل! النبي أفضل أم الوصي؟»

قال له الرجل: «النبي أفضل.»

سأله الإمام عليه السلام: «المسلم أفضل أم المشرك؟»

قال الرجل: «المسلم.»

تابع الإمام عليه السلام كلامه بهدوء وقال: «كان عزيز مصر مشركًا، وكان يوسف عليه السلام نبيًا، والمأمون مسلم وأنا وصي النبي. النبي يوسف عليه السلام طلب من عزيز مصر أن يجعله الحاكم، كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ بينما أنا أجبرت إجبارًا على هذا الأمر.





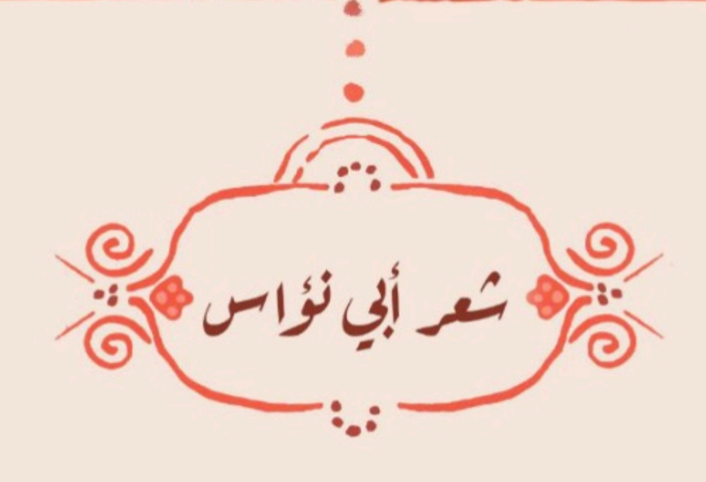
خجل الرجل مما قاله وأطرق ساكتًا، و ابن عرفة لم يعلق بأي شيء. أما ياسر الذي كان جالسًا قرب باب الغرفة، و يفكر في الأحداث التي جرت قبل عدة أيام، قال في نفسه: لما ولي الرضا عليه السلام العهد، سمعته وقد رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم! إنك تعلم أني مكره مضطر، فلا تؤاخذني، كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف.»





كان الإمام عليه السلام مشغول البال دائمًا، وملامح التعب والإرهاق كانت مرسومة على مقلتيه الكريمتين، والشحوب والاصفرار ظاهـرًا على وجهه الشريف.خرج عليه السلام من دار الخلافة ممتطيًا حصانه، ومن خلفه كان غلامه الذي يمتطي حصانًا آخر. كان الحصانان يسيران على الأرض بهدوء، والناس من حولهما تلوح للإمام عليه السلام وتلقي عليه السلام والتحية. رآهما أحد الرجال في (تصفح)





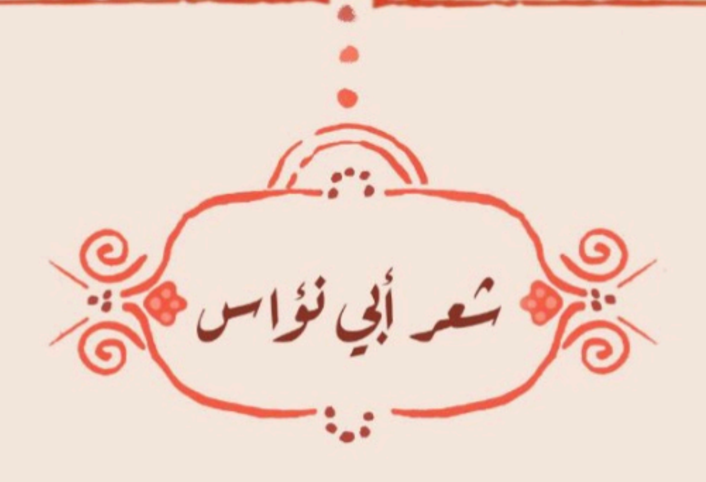
أحد الأزقة، وسأل رجلًا عجوزًا كان بجانبه: «ترى من هذا؟» أجابه الرجل العجوز: «هذا مولاي أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام!» انتابت الحماسة الرجل! وركض مسرعًا نحو الإمام عليه السلام، وألقى السلام عليه. أوقف الإمام عليه السلام حصانه وكذلك غلامه، نظر الإمام عليه السلام إلى الرجل بتمعن. كان الرجل الشاعر المشهور أبا نؤاس الذي تقدم نحو الإمام عليه السلام وقبل يده، وقال: «يا بن رسول الله! قد قلت فيكم أبياتًا، وأود أن تسمعها.» فتبسم عليه السلام وقال: «هات.» فأنشأ يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويًا حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر

والله لما برا خلقًا فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر





فأنــتم الملأ الأعلى وعنــدكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا عليه السلام: «يا حسن بن هاني! قد جئتنا بأبيات ما سبقك أحد إليها، فأحسن الله جزاءك.» ثم قال عليه السلام: «يا غلام! هل معك من نفقتنا شيء؟» فقال: ثلاثمائة دينار، وأخرجها من خرج الحصان، فقال عليه السلام: «أعطها لأبي نؤاس.» أعطاه الغلام الصرة، فسر بذلك.

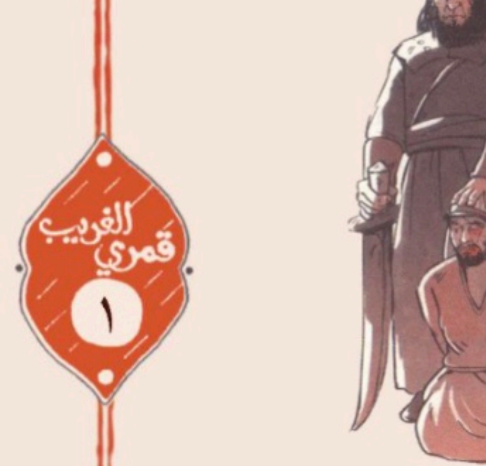
اقترب منه عليه السلام ثم قال: «لعله استقلها يا غلام!» ثم ترجل عن حصانه وأعطى لجامه لأبي نؤاس. فرح أبو نؤاس جدًا بذلك.

(انتهاء القسم الثامن والثلاثين)



كان المأمون جالساً متبختراً على كرسي الخلافة غارقاً في التفكير، وكان الإمام عليه السلام قد جلس على كرسي بجانبه، والحرس محيطين بهما إحاطة السوار بالمعصم. كان لهيب النار المشتعلة في المشاعل قد رسم ظلالًا واسعة مرتجفة تحت قباب القاعة الكبيرة. وفجأة فتح الباب ودخل الحاجب وأدي التحية ثم قال: «لقد أحضرناه!» فرح المأمون لسماع ذلك وقال: «أحضروه.»

(تصفح)





دخل حارسان عظيما البنية يجران رجلًا، أوقفاه أمام المأمون. كان الرجل لا حول ولا قوة له، ولكنه كان رابط الجأش، ولم يك يخشى الوقوف أمام المأمون، ولم يطلب منه العفو، فازداد غضب المأمون.

فتل المأمون شاربيه، و كان الحاجب ينتظر حكم الخليفة فيه. فقال المأمون: «اضربوا عنقه!» كان وقع الحكم ثقيلًا على الرجل، لكنه بقي متماسكًا. أمسك الحرس يدي الرجل واستوقفوه. ضحك المأمون عند دخول الوزير الفضل الذي قال: «سامحه يا أمير، لن يرتكب فعلته مرة أخرى.»

غضب المأمون، ومسك عباءته وعاد وجلس على عرشه و قال: «كلا.» وكان العرق يتصبب من جسم الرجل. ذهب أحد الحراس ليحضر الجلاد ثم عاد معه. نظر إليه المأمون نظرة لا تحمل أية شفقة، وأشار إليهما بأن يضعاه وسط القاعة.



نفد صبر الإمام عليه السلام ووقف، وما إن رآه المأمون حتى تقدم نحوه وقال بنوع من الإطراء: «يا أبا الحسن ! قل لنا ماذا نفعل به؟»

أجابه الإمام عليه السلام على فوره: «لو أحسنت وعفوت عنه، فيزيد الله من عزك.»

أسكن كلام الإمام عليه السلام غضب المأمون الذي تحير في أمره، وأصبح كجماد لا يتحرك. كان الفضل ينظر نحو المأمون نظرة خفية ملؤها الشماتة، وكان الجلاد واضعًا سيفه على كتفه منتظرًا الأمر لينفذ الحكم.

كان الرجل ينظر نحو المأمون، عاد المأمون وكان الاضطراب واضحًا في كلامه، وقال: «كلام ولي عهدنا نضعه نصب أعيننا! اتركوا الرجل!»

ملأت الفرحة قلب الرجل البريء!

(انتهاء القسم التاسع والثلاثين)



كان الصوفيون مسرورين، كان نظرهم مشدودًا نحو قمريات خلف الشباك وهي تهدل. كانت رائحة الربيع تعبق في أرجاء الغرفة. جاء الغلمان بطبق الفاكهة، وقاموا بتقديمه إليهم. في البداية خجل الرجال الصوفيون، وتناولوا بعد الإصرار الفاكهة من الطبق، وكانت ثيابهم متسخة بالية، وكأن سنوات مرت ولم يبدلوها وكان شعرهم أشعث متلبدًا. تناول الإمام عليه السلام أيضًا الفاكهة معهم، وقال كبيرهم مخاطبًا الإمام عليه السلام (تصفح)





«إن المأمون قد رد إليك هذا الأمر، فكر مليًا ووجد أن أهل بيت رسول الله أحق الناس بالخلافة، إلا أنك تحتاج إلى أن تلبس الصوف الخشن، وأن تأكل الطعام البسيط، وتركب حمارًا وتزور مرضى الناس.» اعتدل الإمام عليه السلام في جلسته ثم قال: «ويحكم ... إنما يراد من الإمام قسطه وعدله؛ إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، قال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ إن يوسف عليه السلام لبس الديباج المنسوج بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون.» لم ينبس كبير الصوفيين بأي كلمة، وبقي جالسًا مكانه، وأخذ تفاحة من الطبق الذي كان بين يدي أحد الغلمان، ونظر نظرة خاطفة نحو بقية الرجال الصوفيين، و انشغل الجمع بتناول الفاكهة.

(انتهاء القسم الأربعين)



أشاع حاشية المأمون في كل مكان ... سوف لن يهطل المطر أبدًا ... وأخذوا يقولون: «انظروا! لمّا جاءنا علي بن موسى وصار ولي عهدنا، حبس الله تعالى المطر عن خراسان» صدق بعض الناس تلك الإشاعة وكذبها آخرون، وقالوا: «إن ذلك ليس صحيحًا! بل أن مولانا هو بركة لنا، وإن ما اتهمتموه به لهو بعيد أشد البعد عنه.»

كان الإمام عليه السلام على علم بما يشاع عنه، وزاد ذلك همًا فوق همه (تصفح)





وقد أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إحدى الليالي في نومه ومعه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: «يا بني! انتظر يوم الإثنين، فابرز إلى الصحراء واستسق، فإن الله عزوجل سيسقيهم.» جاء يوم الإثنين، ودعا الإمام الناس إلى أداء صلاة الاستسقاء، فجاؤوا ملبين الدعوة. خرج الإمام عليه السلام إلى صحراء مرو، وخرج الخلق ينظرون، وكان بعض الناس يتهامسون ويتغامزون فيما بينهم. جاء يوم الإثنين، ودعا الإمام الناس إلى أداء صلاة الاستسقاء، فجاؤوا ملبين الدعوة. خرج الإمام عليه السلام إلى صحراء مرو، وخرج الخلق ينظرون، وكان بعض الناس يتهامسون ويتغامزون فيما بينهم.

أرخى الإمام ذيل عمامته ووضعه تحت حنكه الشريف، وكان الناس قد أحضروا أطفالهم معهم من أجل صلاة الاستسقاء، فصلى الإمام ورفع يديه مبتهلًا:



«اللهم يا رب، اسقهم سقيًا نافعًا عامًا غير رائث ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم.»

فما أنهى دعاءه حتى نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت و أبرقت، وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر، فجاءت سحابات كثيرة، وكان الإمام عليه السلام يقول: «على رسلكم أيها الناس، فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لأهل بلد كذا.»

....

ثم أقبلت السحابة الأخيرة، فقال عليه السلام: «أيها الناس! هذه بعثها الله عزوجل لكم، فاشكروا الله تعالى على تفضله عليكم، وقوموا إلى منازلكم ومقاركم، فإنها مسامتة لكم ولرؤوسكم، ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا مقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله.» فما زالت السحابة ممسكة وهي ترعد وتبرق إلى أن قربوا من



منـازلهم ثـم جاءت بو ابل المطر، فملأت الأودية والحيـاض والغدران والفـلوات، فجعل الناس يقولون: «هنيئًا لولد رسول الله وكرامات الله عزوجل...» ولجأ المأمون ووزيره الفضل والأمراء إلى غرفهم مخذولين مما أكرم الله به الإمام.

(انتهاء القسم الحادي والأربعين)



قال الرجل ذو الشعر الأحمر: «هيا! الآن ... فلتسرع.» حك ابن مهران طرف أنفه وقلب بصره بين الحضور. كان الجميع موجودًا؛ المأمون والفضل والحاجب وأبو الصلت. انتهى بصره إلى الإمام عليه السلام، نظر إليه ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «سوف أحرجه، ولن تقوم له قائمة بعد اليوم.» قال الرجل ذو الشعر الأحمر واللحية الطويلة الحمراء المعروف بعالم القصر: «انتبه أن تخطأ ...» (تصفح)







أجابه ابن مهران: «فليكن بالك مطمئنًا يا شيخ.» ثم اعتدل في جلسته وسعل عدة سعلات حتى يلفت انتباه الحضور إليه. نظر نحوه المأمون والوزير الفضل، وكأنهما على علم بما سيجري، ولكنهما حاولا إخفاء ذلك. وفجأة وقف ابن مهران وقال: «يا بن موسى!» نظر نحوه الإمام عليه السلام ورفع رأسه وهو ينظر إليه، أوقعت هيبة الإمام الخوف في قلب ابن مهران، فصرف نظره عن الإمام عليه السلام وقال: «يا بن موسى لقد عدوت طورك، وتجاوزت قدرك، إن بعث الله بمطر مقدروقته، لا يتقدم ولا يتأخر، جعلته آية تستطيل بها، وصولة تصول بها، كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام، لما أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضاءها التي كان فرقها على الجبال، فاتينه سعيًا وتركبن على الرؤوس وخفقن وطرن بإذن الله تعالى.» كان وجه المأمون عابسًا، لكنه لم يقل شيئًا



الأسدين

وأما أبو الصلت فقد كان غاضبًا في داخله، والشيخ ذو الشعر الأحمر مشى عدة خطوات. أشار ابن مهران إلى أسدين مصورين على مسند المأمون الذي كان مستندًا إليه، وكانا متقابلين على المسند، وقال: «فإن كنت صادقًا فيما توهم فأحيي هذين وسلطهما علي، فإن ذلك يكون حينئذ آية معجزة، فأما المطر المعتاد مجيئه، فلست أنت أحق بأن يكون جاء بدعائك من غيرك الذي دعا كما دعوت.»

....

ضحك الفضل وبقي المأمون ساكتًا، وأما الرجل ذو الشعر الأحمر فلوى شدقيه وضحك ضحكة عالية. بدد صوت الإمام عليه السلام صمت القاعة وصاح بصورة الأسدين: «دونكما الفاجر فافترساه، ولا تبقيا له عينًا ولا أثرًا.»

فوثبت صورة الأسدين من على مسند المأمون، وقد صارت أسدين حقيقيين



اختفت ضحكة الفضل من شفتيه. تراجع الرجل ذو اللحية الحمراء حتى التصق بأحد الأعمدة الحجرية، وبهت المأمون مما رآه فافترسا الحاجب ورضرضاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه! والقوم ينظرون متحيرين مما يبصرون وتأهب الحرس وهم ممسكون برماحهم، وهجم الأسدان على ابن مهران و افترساه و قد حاول الصراخ، ورضرضاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه! وقد بان الخوف على وجه المأمون والقوم ينظرون متحيرين مما يبصرون! فلما فرغا منه أقبلا على الرضا عليه السلام وقالا: «يا ولي الله في أرضه، ماذا تأمرنا نفعل بهذا؟ أنفعل به ما فعلنا بهذا؟ أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفنيناه؟» ويشيران إلى المأمون! صرخ المأمون وغشى عليه مما سمع منهما، ولم يجرأ أحد على الفرار.

قال الإمام عليه السلام: «لا، فإن لله عزوجل فيه تدبير هو ممضيه.»



فقال الأسدان: «ماذا تأمرنا؟» قال الإمام عليه السلام: «عودا إلى مقركما كما كنتما» فصعدا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا!

وبعد عدة دقائق حضر طبيبان، وعاد المأمون إلى وعيه، ولما أفاق المامون قال: «الحمد لله الذي كفاني شر حميد بن مهران.» ثم وقف بمساعدة الأطباء والفضل، وكان الشحوب واضحًا على وجهه. ثم قال للإمام عليه السلام: «السلام عليك يا بن رسول الله، هذا الأمر لجدكم رسول الله عليه ثم لكم.» ثم ذهب المأمون إلى قصره كئيبًا محبطًا وهو خجول.

(انتهاء القسم الثاني والأربعين)



ما الذي حدث؟ لم لا تأت؟ هرع الغلام وركض مسرعًا، وأحضر إبريق الماء الذهبي، ووقف بجانب المأمون. نظر المأمون نحوه بحدةٍ، ثم نظر نحو الحاجب نظرة تحمل في طياتها عدم رضاه عن الغلام، وأنه يجب تأديبه لتأخره عن إحضار الماء. كانت يدا الغلام ترتجفان من الخوف، قال المأمون: «اهدأ! واسكب الماء عندما آمرك بذلك.» رفع قدميه بعد ذلك، وضحك الحاجب في قلبه، فهذه التصرفات (تصفح)

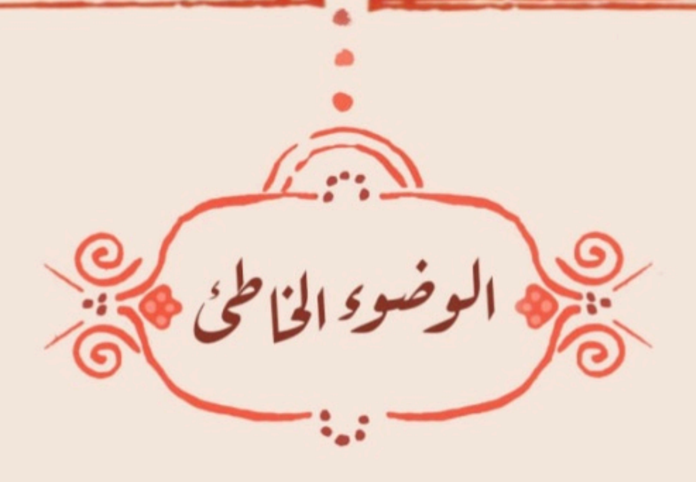


قمري الغريب
١



لا تنطلي عليه، وقد علم أنها خدعة جديدة.

قال المأمون للحاجب: «الصلاة من أركان الدين، و الخليفة رئيس الدين، فعلى الرئيس أن يقيم الصلاة في وقتها حتى يكون مثالًا يحتذى به من قبل المسلمين ... اسكب قليلًا من الماء.» سكب الغلام الماء على وجه المأمون، فغسل وجهه، ثم سكب الغلام قليلًا منه على مرفق المأمون الأيمن، وغسلها المأمون بيده الثانية. وبينما هما على هذه الحال إذ دخل شخص الأمام الغرفة ولم ينتبها لقدومه، تقدم الإمام الرضا عليه وألقى السلام. تبسم المأمون وقال: «أهيئ نفسي للصلاة، فالناس في المسجد ينتظرونني.» لم يقل الإمام شيئًا عليه السلام، ثم قال المأمون بلهجة حادة: «الآن هنا!» وسكب الغلام الماء على المرفق الآخر، غسله المأمون عدة مرات. كان الإمام عليه السلام على اطلاع بخطئه ولم يسكت، بل قال له:



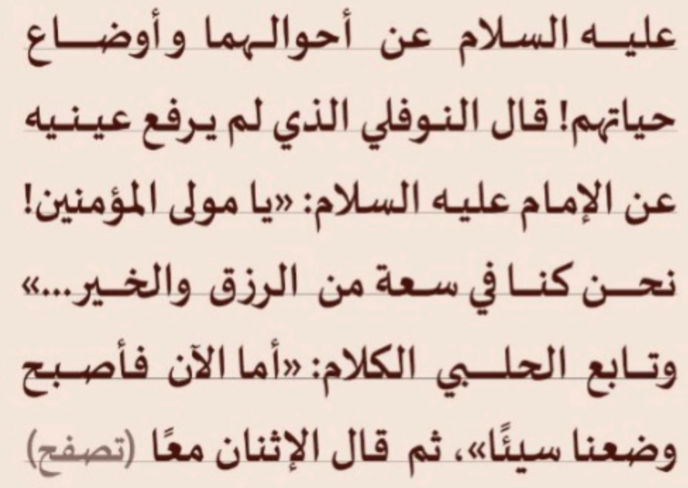
«ولا تشرك بعبادة ربك أحدًا!»

رفع المأمون رأسه، ونظر نظرة خاطفة نحو الإمام عليه السلام، وفهم أن وضوءه كان بشكل خاطئ، لأن الغلام قد ساعده في ذلك. صرف الغلام بعد أن أومأ إليه، ونهره بغضب، وتولى إتمام وضوئه بنفسه. أضمر المامون البغضاء للإمام في قلبه، وقال في نفسه: «سأنتقم منك قريبًا يا أبا الحسن!»

(انتهاء القسم الثالث والأربعين)



كان الحلبي و النوفلي ضيفي الإمام الرضا عليه السلام، كانت الفرحة لا تسعهما، وقد استضافهما الإمام عليه السلام، وقدم لهما الفاكهة والشراب. سألهما الإمام عليه السلام عن أحوالهما وأوضاع حياتهم! قال النوفلي الذي لم يرفع عينيه عن الإمام عليه السلام: «يا مولى المؤمنين! نحن كنا في سعة من الرزق والخير...» وتابع الحلبي الكلام: «أما الآن فأصبح وضعنا سيئًا»، ثم قال الإثنان معًا (تصفح)







«ادع الله لنا حتى نعود كسابق عهدنا ونصبح غنيين! نحن كلنا يقين أن دعاءك مستجاب.» سألهما الإمام عليه السلام بجد: «ماذا تريدان أن تصبحا؟»

أجابا: «من الأعيان، و من أصحاب الأموال الوفيرة.» سألهما الإمام عليه السلام بنبرة أكثر جدية من سابقتها: «أتريدان أن تصبحا ملكين؟ هل يفرحكما أن تكونا مثل طاهر وهرثمة؟»

تغيرت حال كل من الحلبي و النوفلي و طأطأ رأسيهما نحو الارض خجلًا من الإمام عليه السلام، ولم ينبسا بأي كلمة.

ثم عقب الإمام عليه السلام قائلًا: «هل تريدان أن تصبح أعمالكم خلاف عقيدتنا وتقاليدنا؟»

رفع الحلبي رأسه ثم قال: «لا، لا، نقسم بالله أنه لا يفرح قلوبنا أبدًا أن



نملك كل ذهب الدنيا وفضتها ونكون خلاف عقيدتك وتقاليدك.» وهز ياسر برأسه مو افقًا كلامه.

قال الإمام عليه السلام وهو يعظهما: «قال الله تعالى: اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور.»

ثم أتبع ذلك بعدة جملات كانت كافية لتعيدهما إلى سبيل الصواب، وتنير قلبهما بنور الإيمان، انفرجت أسارير كل منهما، وأخذا يفكران بعمق بما سمعاه.

(انتهاء القسم الرابع والأربعين)